بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

دائرة الكتاب والسنة

تخصص التفسير وعلوم القرآن

٩/١٨٤
ق ٠ ٥

جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
المكتبة
رقم القيد: ١٧٠٩
التاريخ: ٢٠١٤/٩/٢٠

القُرى في القرآن الكريم

دراسة موضوعية تحليلية

بحث لنيل الدرجة العالمية الأولى (ماجستير)

جامعة القرآن الكريم والعلوم
عمادة
مكتبة
رقم القيد:
الصدر:

إعداد الطالبة :

هدى عبدالرحمن محجوب

إشراف الأستاذ الدكتور :

علي العوض عبدالله

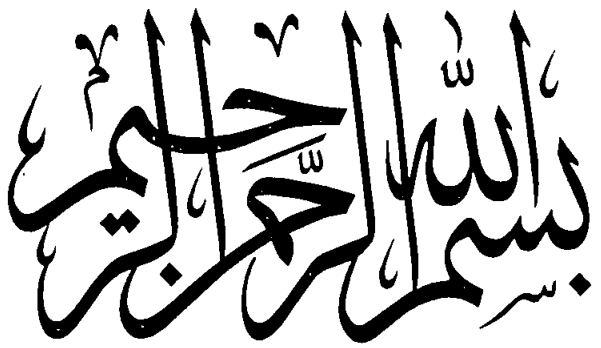
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)([1])

صدق الله العظيم

([1]) سورة النحل ، الآية ٣٦

الإهـــــداء

أهدي جهدي المتواضع هذا

إلى والديّ وإخواني وأخواتي الأعزاء

وإلى كل من علمني حرفاً

وإلى كل من يقرأ منه حرفاً .

وإلى كل الزملاء والزميلات بالجهاز القضائي بحري

وإلى الزملاء بمكتبة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

وإلى كل من شاركني بفكر أو ساعد في تذليل الصعاب .

وإلى كل مسلم ومسلمة سائلة الله أن يجعله شمعة تنير الطريـــق

لكل من أراد السير في طريق الفلاح .

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً حمداً يوافي نعمه علينا ، حمداً عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته . والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وعلى آله وصحبه أجمعين .

فالشكر أولاً لله الذي هدانا ووفقنا لهذا ومن بعده أتقدم بأجزل الشكر والتقدير للأستاذ العالم الجليل أ. د . علي العوض عبدالله نائب مدير جامعة القرآن الكريم الذي وافق على الإشراف على رسالتي رغم كثرة مشغولياته الملقاة على عاتقه .

كما أتقدم بكل الشكر والتقدير إلى الأستاذ د. الجزولي الأمير الجزولي على ما قدمه لي من توجيه ورعاية منذ الخطة وحتى المراجعة مما أفادني كثيراً فجزاه الله عني خيراً .

ولا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير للأخوة بمكتبة جامعة القرآن والأخوة بمكتبة الجهاز القضائي بحري بما وجدته عندهم من تعاون ومساعدة فلهم التحية والاحترام .

والشكر موصول لجميع الذين وقفوا معي في هذه الرسالة بالتشجيع أو بالرأي والطباعة وغير ذلك فالشكر والتقدير للجميع ، وأسأل الله أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم جميعاً وأن ينفع به كل من قرأ هذه الرسالة، وأن ينفعنا بها جميعاً يوم لا ينفع مال ولا بنون .

المقدمة

الحمد لله الذي أنار قلوب المتقين بنور كتابه المبين ، وجعل القرآن شفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وأشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي فتح الله به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً ، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور كما قال تعالى : (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)(١) وبشيراً ونذيراً للعالمين كافة ، مبيناً لهم أحكام كتابه العزيز الذي أنزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو أمي ولكنه علمه شديد القوى وجعله إماماً وقائداً للبشرية جمعاً .

فشرع صلى الله عليه وسلم معلماً لأصحابه مفهماً لهم معاني القرآن العظيم شارحاً لهم مقاصده وأحكامه ومتشابهه بأقواله وأفعاله وكان مرجعاً لهم في كل صغيرة وكبيرة لذلك لم تكن هناك حاجة إلى تفسير مكتوب في عهده لوجود السراج المنير بينهم ، وكذلك أخذ عنه صحابته الراشدون وحفظوه عن ظهر قلب قولاً وفعلاً حتى دانت لهم العرب والعجم بفضل هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولكن بانتشار رقعة الإسلام وبدخول الكثير من غير العرب فيه ظهرت الحاجة إلى من يفسر للناس معانيه البعيدة المحكمة ويوضح لهم مقاصده ومراميه البعيدة لأن في اللغة العربية للكلمة أكثر من معنى بداخلها وحتى لا يتبع الناس أهواءهم في تفسير معانيه ، فإنبرأ له علماء أفذاذ عرفوا الحق وعملوا به مفسرين لكلامه عز وجل مرجعهم في ذلك القرآن نفسه والسنة الشريفة وعند تعزر ذلك يجتهدون بآرائهم ، حتى يستطيع العامة فهمه والعمل به وفي كل عصر يهيئ الله له أناساً ناقلين بعضهم عن بعض مجددين فيه حسب حاجة الناس إليه ، وكلما تقدمت وسائل العلم الحديث وتعددت الإبتكارات نجد أن القرآن ذاكراً لها قبل آلاف القرون وهذا دليل على إعجازه وأنه صالح لكل زمان ومكان فإذا ذكرنا مثلاً وسائل الاتصال الحديث وكيف أن العقل البشري يقف عندها كثيراً محتاراً إلا أن القرآن ذكر ذلك من أمد بعيد حيث جاء قوله عز وجل

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١

على لسان أحد قوم سليمان : (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)(١) فهل بلغت الوسائل الحديثة إلى هذا ؟ لكنا في حاجة إلى من يقدمها للعالم في قوالب شبه قوالبهم حتى نواكب هذا التطور محققين لقوله تعالى : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)(٢) ، ولأن الاحتكام إلى منهج الله ليس نافلة ولا تطوعاً ولا موضع اختيار وإنما هو الإيمان كما قال تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ)(٣) ، لأن الأمر يتعلق بعقيدة الأمة وسعادتها وشقائها . ولكن عندما بدأت الأمة الإسلامية ترتقي بالنظر والسير خلف الظواهر الكونية من حيث إنها سنن طبيعية يمكن الوصول إليها عن طريق العلم المادي والأجهزة الإلكترونية ، أخذت في الهبوط إلى الحضيض لأنها فرقت بين القيم الإيمانية وهذه الظواهر ولا يمكن الإرتقاء بهذه الأمة إلا عن طريق الرجوع إلى كتاب الله العزيز وبيانه وتفسير دقائقه الخفية التي تكشف للعالم عظمته وصلاحه لكل زمان ومكان ، فلابد من استعمال هذه الوسائل والأجهزة الحديثة في بيان كلام الله والوصول به إلى كل العالم كما بدأ أولاً . إنها مسؤولية تقع على عاتق كل من ارتشف من هذا العلم وقاص في بحاره لأنها أمانة تحملها الإنسان جاهلاً كنهها وظالماً لنفسه بها،والله نسأل أن يعيننا على ذلك وهو ولي التوفيق

أهمية الموضوع :

وتكمن أهمية هذا الموضوع في أن الأمة الإسلامية اليوم وبالرغم من أنها وجدت الإسلام راسخاً منذ آلاف السنين على عكس ما كان عليه أهل القرى السابقة من كفرهم برسلهم منذ البدايات وكان العذاب يأتيهم ليقضي على الكفرة جميعهم وينجي المؤمنين من عند الله عز وجل ليكونوا عبرة لمن خلفهم من الأمم ، ولكن بالرغم من ذلك فإن الأمة الإسلامية أصبحت الآن في بعد عن تعاليم دينها الحنيف ، وأن الأحداث تتجدد في هذا الزمان وهلاك القرى المسلمة على أيد

---

(١) سورة النمل ، الآية ٤٠

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٣٨

(٣) سورة الجاثية ، الآيات ١٨-١٩

الطغاة من الأمريكان واليهود يدل على أن أسباب هلاك الأمم السابقة تكرر اليوم وما زال مستمراً ، وهذا يدعو للفت أنظار المسلمين لتدارك الأمر قبل أن يستفحل للأخذ بالأسباب والرجوع إلى الله عز وجل والإنابة إليه مما هي فيه من اختلاف وتمزق وشتات والله المستعان .

مشكلة البحث :

مذ أن أوجد الله عز وجل الإنسان في هذه الدنيا علمه الكثير من أسوارها ، وعظمه على غيره وأمر الملائكة بالسجود إليه ، وبالرغم من ذلك عصى ربه وخضع إلى إبليس الذي رفض السجود إلى الله ، فعوقب بالخروج من الجنة ، وبعدها أرسل الله الرسل لهدايته إلى وحدانية الله وعبادته وحده لا شريك له لأن الله في الأزل أشهد على خلقه عندما أخذ من ظهورهم ذرياتهم وقال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) ولكن وبعد هذه الشهادة الموثقة عند المولى عز وجل إلا أن الإنسان كلما أرسل إليه رسول من عند الله داعياً لعبادته تكبر وتجبر ، وجادل وجاء بحجج واهية ، وكلما تهلك أمة تأتي التي بعدها بنفس ما جاءت به سابقتها ولم تتعظ بسابقتها . حتى كانت آخر هذه الأمم أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك بدأت بالتكبر والعصيان عن أمر بها ولكنها لم تهلك بسبب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لها ولأنها خاتمة الأمم ولأن الدين الإسلامي هو الدين عند الله ولابد من بقائه إلى يوم القيامة .

لذلك وجب علينا دراسة تلك الأمم السابقة متخذين منها العظة والعبرة ، مستفيدين من دروسها وقصصها ، حتى لا نقع فيما وقعت فيه ، مرجعنا في ذلك كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى إبراز بعض المفاهيم منها :

١/ دراسة أحوال الأمم السابقة وما كانت عليه من نعم

٢/ هلاك الله لكثير منها بسبب كفرها برسلها بالرغم ما كانت فيه عظمة وترف

٣/ تذكرة المسلمين لما حدث لها حتى يبتعدوا عن السير في طريقها.

٤/ الإستفادة مما نحن فيه الآن من تقنية ومعلومات لنشر الدعوة الإسلامية إلى كافة أنحاء العالم وتوعية المسلمين أنفسهم بتعاليم دينهم الحنيف .

سبب اختيار الموضوع :

نسبة لحاجة الأمة الإسلامية لمن يذكرها بالأمم السابقة وما جرى لها من انهيار ودمار بسبب كفرهم وطغيانهم وبما جرى لها من امتحانات وإبتلاءات حتى تكون لها عظة وعبرة من السير في هذا الطريق . وجمع ما ورد في القرآن من لفظ القرية ومشتقاتها بمعنى الأمة والجماعة وغيرها من المعاني حتى لا يفهم أن المقصود بها القرى من غير المدن أو الحضر ويتصرف المسلمون على ذلك ، والله أعلم بما يريد .

منهج البحث :

هو المنهج الاستقرائي وقد اتبعت الخطوات الآتية :

١/ بجمع الآيات المتصلة بالموضوع

٢/ أقوم بكتابة الآية على رواية حفص عن عاصم

٣/ أقف على أقوال المفسرين في الآية المعنية وأرجح بينها .

٤/ أقوم بتخريج الأحاديث الواردة من الكتب المعتمدة للتخريج .

٥/ أعزي كل قول إلى قائله والمصدر الذي أخذته منه وأشير إلى المجلد بالرمز ج/ والطبعة بالرمز ط والتاريخ بالرمز ت .

محتويات البحث :

يحتوي هذا البحث على أربعة فصول ، الفصل الأول : مفهوم القرية في القرآن الكريم ، تحدثت فيه الباحثة عن معنى القرية في اللغة والاصطلاح الفقهي والفرق بينها والأمة والقوم متخذةً نماذج من القرى الغابرة .

أما الفصل الثاني : تناولت الباحثة فيه نماذج من القرى الناجية في القرآن الكريم وأسباب ذلك متخذة قرى يونس وسبأ وأم القرى نماذج لذلك .

وفي الفصل الثالث تناولت الباحثة نماذج من القرى التي أهلكت وأسباب هلاكها ممثلة بقرى عاد وثمود وبني إسرائيل وقرية لوط .

أما الفصل الرابع : وضحت فيه الباحثة سنة الله في القرى الحاضرة متخذةً بلاد الأفغان وبلاد العرب وما جرى فيها من تفكك ودمار نماذج بسبب البعد عن كتاب الله وسننه .

وفي الختام توصلت الباحثة إلى النتائج والتوصيات التي رأتها من خلال الدراسة

الفصل الأول

مفهوم القرية في القرآن الكريم

فيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : معنى القرية

المبحث الثاني : الفرق بين القريـــة والأمة والقوم

المبحث الثالث : نماذج من القرى الغابرة

المبحث الأول

فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : معنى القرية

المطلب الثاني:القرية في الاصطلاح القرآني الكريم

المطلب الثالث : القرية في الحديث النبوي الشريف

المطلب الأول

معنى القرية

القرية لغة :

القرية من المساكن والأبنية والضياع ، وقد تطلق على المدن وجمعها قرى، والنسب إلى قرية قرئي ، في قول أبي عمرو[1]، وقروى في قول يونس[1]، وقول بعضهم : ما رأيت قروياً أفصح من الحجاج ، إنما نسبه إلى القرية التي هي المصر . وقول الشاعر أنشده ثعلب :

رمتني بسهم ريشه قروية وفدقاه سمن والنفي سوبن

والقروية : هنا الثمرة

وأم القرى : مكة شرفها الله تعالى ، لأن أهل القرى يؤمونها ، أي يقصدونها([1]) .

والقرى جبي الماء في الحوض ، وقريت الماء في الحوض قرياً جمعته .

القرية معروفة ، والجمع القرى على غير قياس والنسبة إليها قروي ، وهي مجرى الماء في الروض ، والجمع أقرية وقريان والقرية خشبات فيها فرض يجعل فيها رأس عمود البيت([2]) .

أما صاحب كتاب مختار الصحاح فيقول : القرية مجرى الماء في الروض والجمع أقرية وقريات([3]) .

القرية : كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قراراً وتقع على المدن وغيرها، وقرية النمل : مأواه ، وأيضاً هي العصا([4]) .

([1]) لسان العرب ، لابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، طبعة جديدة ومحققه ، ومشكولة شكلاً كاملاً ، ج٥ ، ص٣٦١٧ - ٣٦١٨ ، ط جدة ، بدون تاريخ .

([2]) الصحاح في اللغة والعلوم ، تجديد صحاح العلامة الجوهري ، المصطلحات العلمية والفنية للجامع ، دار الجامعات العربية ، تقديم العلامة الشيخ عبدالله العلائي ، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي ، وأسامة مرعشلي ،دار الحضارة العربية ، بيروت ، ج٢ ، ص٣٠٤

([3]) مختار الصحاح للشيخ محمد أبو بكر عبدالقادر الرازي ص٢٢٣ ط . ت .

([4]) المعجم الأوسط ، الطبعة الثانية ، إخراج د. إبراهيم أنيس ، ود. عبدالحليم منتصر ، وعطية الصوالحي ، ومحمد خلف الله أحمد ، إشراف علي ، حسن علي عطية ، ومحمد شوقي أمين ، ج٢ ، ص٧٣٢

القرى بضم وتشديد يقال قرى سحبل ، وهي في بلاد الحرث بن كعب ، قال جعفر بن علبة الحارثي :

ألهفي بقرية سحيل حين أخليت علينا الولايا والعدد المباسل([1])

الشاهد هنا قرى سحبل ، بمعنى منطقة معينة يطلق عليها هذا الاسم([2]) .

القرية : بكسر القاف لغة يمانية ، وأنكرها غير الليث وقرى من أسماء زمزم([3]) .

القرية : من قريت ، إذا جمعت السمن بذلك ، لأنها تجمع الناس على طريقة المساكنة ، وقيل إن قلوا قيل قرية ، وإن كثروا قيل لها مدينة ، وأنهى بعضهم حد القلة إلى ثلاثة([4]) .

والقرية عندنا في السودان جاءت بالإضافة إلى هذه المعاني التي ذكرناها آنفاً جاءت مرتبطة بالمناطق التي لم تشملها الحضارة والمدنية من حيث التخطيط والبنيان العمراني والخدمات الصحية والتعليمية ، ومستوى المعيشة الغالب على سكانها ، والطابع الغالب على أهلها ريفي ، وتقع في المناطق النائية عن المدن ، ولا تطلق أبداً على مدينة كما جاء في تعريفها السابق ، ونجد أن السودان شارك في بعض المعارض العربية باسم القرية السودانية ، حيث عرض فيها التراث السوداني والعادات والتقاليد ، مما يدل على أن أهل القرى أكثر حفاظاً على هذه الأشياء من أهل المدن ، ولكن مما يؤسف له أن أكثر أهل هذه القرى نزحوا عنها مهاجرين لها بحثاً وراء هذه المدنية المفقودة لديهم ، مما كان له أكبر الأثر على الانتاج المحلي الزراعي والرعوي وغيره ، وكذلك أدى إلى ازدحام المدن وكثرة العطالة وضاءلت الخدمات بها .

([1]) المباسل : الصولة في الحرب

([2]) الصحاح في اللغة والعلم ، معجم وسيط ، للعلامة الشيخ عبدالله العلائي ، ج٢ ، ص٩١٨

([3]) معجم متن اللغة ، موسوعة لغوية حديثه للعلامة / الشيخ أحمد رضا عضو المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، ج٤ ، ص٥٥٥ ، بدون ط . ت ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .

([4]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين محمد البغدادي الألوسي ، ج٣ - ٤ ، ص٢١-٢٢ ، ط٤ ، ت١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م

المطلب الثاني

القرية في الاصطلاح القرآني الكريم

جاءت القرية في القرآن الكريم بعدة معان فذكرت مرة ويراد بها ذاتها وأخرى يراد بها أهلها ومرة بيت المقدس أو مكان معين لذاته ، وأتت مفردة ومثنى وجمع .

فجاءت بمعنى القرية لذاتها في قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ)([1]). يقول تعالى لائماً على نكولهم عن الجهاد ، ودخولهم الأرض المقدسة لما قدموا من بلاد مصر بصحبة موسى عليه السلام ، فأمروا بدخول الأرض المقدسة التي هي ميراث لهم عن أبيهم إسرائيل ، وقتال من فيها من العماليق الكفر ، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا فرماهم الله في التية عقوبة لهم كما ذكره الله تعالى في سورة المائدة (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)([2])([3]) ، وقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا)([4]) .

أخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة في قوله هذا : إنما نزلت في المستهزئين. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قوله : (جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا) قال:سلطنا أشرارها ففسقوا فيها،فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب)([5]).

وعن مجاهد في قوله : (أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا) قال : عظماؤها ، وفي قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا) ، الأول في قوله (وإذا قلنا (ادخلوا) حذف الأول في قلنا لسكونها وسكون الدال بعدها والألف التي يبدأ بها قبل الدال

([1]) سورة البقرة ، الآية ٥٨

([2]) سورة المائدة ، الآية ٢٦

([3]) التفسير العظيم ، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، ج١ ، ص٦٨ ، ط جديدة بدون تاريخ . ، ابن كثير هو : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ، أطلق عليه المؤرخون لقب عماد الدين ، وعرف بذلك في جمع نسبه ولد في مطلع القرن السادس والعشرين م شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة .

([4]) سورة الأنعام الآية ١٢٣

([5]) الدر المنثور في التفسير بالمأثور،للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي،الطبعة الأولى ، ج٣ ، ص٣٥٣ دار الفكر ، بيروت .

ألف وصل لأنه من يدخل . والثاني في قوله تعالى : (هذه القريـــة) أي المدينـــة سميت بذلك لأنها تقرت أي اجتمعت ، ومنه قريت الماء في الحوض . وكذلك مـــا قري به الضيف قاله الجوهري ، والمقرأة الحوض ، والقـــرى لمسـيل المـــاء . واختلف في تعيينها فقال ابن شيبة : كانت قاعدة ومسكن ملوك ابن كيسان - الشـــام - وقال الضحاك : الرملة والأردن وفلسطين وهذه نعمة أخرى ، وهي أنه أباح لهم دخول البلدة وأزال عنهم التيه . والثالث في قوله (فكلوا) اباحة (ورغداً) كثـــيراً واسعاً وكانت أرض مباركة عظيمة الغلة فلذلك قال رعد . والرابعـــة فـــي قولـــه تعالى: (وادخلوا الباب سجدا) والباب الذي امروا بدخوله هو باب بيت المقـــدس ، يعرف اليوم بباب حطة عن مجاهد وغيره ، وقيل باب القبة التي كان يصلي إليـــها موسى وبنوا إسرائيل . (وسجدا) قال ابـــن عبـــاس : منحنيـــن ركوعـــاً . وقيـــل متواضعين خضوعاً . وقوله (حطة) أي قولوا : (لتكن منك حطة لذنوبنا) كمـــا تقول للرجل: (سمعك إلي) كأنهم قيل لهم : قولوا : يا رب لتكـــن منـــك حطـــة لذنوبنا([1]) . وزعم يونس بن حبيب أنه قيل لهم (قولوا حطة) أي تكلمـــوا بـــهذا الكلام ، كأنه فرض عليهم أن يقولوا الكلمة مرفوعة .

حدثنا أبو هريرة : عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : قال : (قيل لبنـــي إسرائيل (ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) فبدلوا فدخلوا البـــاب يزحفون على أستاهم - جمع است وهو الدبر - وقالوا حبة من شعرة([2]) .

وذكر في قوله تعالى : (ادخلوا هذه القرية) الظاهر أن الأمر بالدخول على لسان موسى عليه السلام كالأوامر السابقة واللاحقة (والقرية) المدينة وقد كـــان هذا الأمر بعد التيه وهو أمر إباحة ، بدل عليه عطف (فكلوا) وهو غـــير الأمـــر المذكور بقوله تعالى : (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ)([3]) لأنه كان قبل ذلك وهو

([1]) الجـــامع لأحكـــام القـــرآن ، لأبي عبـــدالله محمـــد بـــن أحمـــد الانصـــاري ، ج١ ، ص ، ط٢ . ت ، ١٩٠٢/١٠/٦م .

([2]) صحيح مسلم ، م٤ ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، الحديـــث رقـــم ٣٠١٥ ، ص٢٣١٢ ، بدون ط ، و لا ت .

([3]) سورة المائدة ، الآية ٢١

أمر تكليف كما يدل عليه عطف النهي ، ومنهم من زعم اتحادهما وجعل هذا الامر أيضاً للتكليف ، وحمل تبديل الأمر على عدم امتثاله بناء على أنهم لم يدخلوا القدس في حياة موسى عليه السلام ، لأنه مات في التيه على أحد الأقول . وكأنهم أمروا بعد الفتح بالدخول على وجه الإقامة والسكن كما يشير إليه قوله (فكلوا) وقوله في الأعراف (اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ)([1]) .

والصحيح أن المقصود بها بيت المقدس ، وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه السلام وفتحها الله عليهم عشية جمعة ، وقد حبس الله لهم الشمس يومئذ قليلاً حتى أمكن الفتح ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا باب البلد (سجداً) أي شكراً بما أنعم عليهم من الفتح وأنقذهم من التيه([2]) .

وجاء لفظ القرية والمراد بها مكة في قوله تعالى : (يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ)([3]) قال ابن عباس والحسن والسدي وغيرهم ، لذلك لم ينسب الظلم إليها تشريفاً لما شرفها اله بقوله (الظالم أهلها) .

ذكرت القرية وأريد أهلها مجازاً كما في قوله تعالى : (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا)([4]) شروع في تذكيرهم وإنذارهم بما نزل في القرى من قبلهم من العذاب بسبب إعراضهم عن دين الله تعالى وإصرارهم على أباطيل أوليائهم . فالمعنى قرى كثيرة أهلكناها والمراد بإهلاكها مجازاً إهلاك أهلها . وقيل المراد بالإهلاك الخذلان وعدم التوفيق ، فهذا استعارة أو من إطلاق المسبب على السبب ، وبهذا يقول ابن عطية : وأن الصواب أن يقال معناه : خلقنا في أهلها الفسق والمخالفة فجاءها بأسنا ، وقيل المراد حكمنا بأهلاكها غير استئصال فجاءها هلاك الاستئصال([5]) .

وكذلك جاء في قوله تعالى : (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ

([1]) سورة الأعراف ، الآية ١٦١

([2]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للآلوسي البغدادي ، ج١ ، ص٢٦٤

([3]) سورة النساء ، الآية ٧٥

([4]) سورة الأنعام ، الآية ٤

([5]) جامع البيان عن تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ج٣ ، ص٢٦٤-٢٦٩ ، بدون ط ولا ت

هُمْ قَائِلُونَ) ([1]) يعني فجاء أهلها (بياتاً ، كان قال : فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين وإنما خص هذين الوقتين لأنهما أوقات الغفلة والدعة ، فيكون نزول العذاب فيها أشد وأفظع ، وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر ، وقوم شعيب وقت القيلولة .

وفي قوله تعالى : (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ)([2]) . قال أبو جعفر : أي إنما أرسلنا الرسل يا محمد إلى من وصفت لك أمره واعلمتك خبره من مشركي الإنس والجن،يقصون عليهم آياتي وينذرونهم لقاء معادهم

وفي تأويل بظلم له وجهان : أحدهما : (بظلم) أي بشرك من أشرك وكفر من كفر من أهلها ، كما قال لقمان لابنه (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)([3]) . (وأهلها غافلون) يقول : لم يكن يعجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسولاً يبيّن لهم حجج الله عليهم ، وينذرهم عذابه يوم معادهم إليه ولم يكن يأخذهم غفلة فيقولوا (مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ) .

والآخر : قوله تعالى : (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ) يقول : لم يكن ليهلكهم بالتيه دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فبكفرهم بذلك أهلكهم والله غير ظلام لعبيده([4]) .

وجاء في قوله : (أو كالذي مر على قرية) عطف على سابقتها والكاف اسمية بمعنى مثل - أي رأيت - مثل الذي مر ، وإلى ذلك ذهب الكسائي والفراء وأبو علي وأكثر النحويين . والمار هو عزير بن شيخا ، كما أخرجه علي كرم الله وجهه . وقيل هو أريا بن خلقيا من سبط هارون عليه السلام ، وهو المروي عن أبي جعفر رضي الله عنه وذهب إيه وهب .

والقرية قال ابن زيد : هي التي خرج منها الألوف ، وقال عكرمة والربيع ووهب إنها بيت المقدس وكان قد خربها بختنصر ، وهذا هو الأشهر . (وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا) أي ساقطة على سقوفها بأن سقط السقف أولاً ثم تهدمت الجدران عليه ،

([1]) سورة الأنعام ، الآية ٤

([2]) سورة الأنعام ، الآية ١٣١

([3]) سورة لقمان ، الآية ١٣

([4]) جامع البيان - للطبري ، ج١٢ ، ص١٢٤-١٢٥

وقيل المعنى خالية عن أهلها ثابتة على عروشها،إنّ بيوتها قائمة([1])

وجاء قوله : (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)([2]) . أخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله سبحانه ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم تلى([3]) (وكذلك أخذ ربك) .

وأخرج أبو الشيخ عن أبي عمران الجوني رضي الله عنه قال : لا يغرنكم طول التيه ولا حسن الطلب ، فإن أخذه أليم شديد .

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد رضي الله عنه قال : إن الله تعالى حذر هذه الأمة سطوته بقوله (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ)([4]) .

وجاء في قوله تعالى : (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ)([5]) أي أسأل اليهود سؤال توبيخ وتقرير بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله ، والقرية هي أيلة ، وقيل مدين ، وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية ، وعن أبي عمرو بن العلاء قال : (ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج) يعني رجلين من أهل المدينة . والدليل على أنه أريد أهلها قوله تعالى : (إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ) أي يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهو عنه([6]). وقوله تعالى : (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ)([7]) .

يعني مكة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة في تكذيبهم لرسول الله صلى الله

([1]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للآلوسي ، ج٣ ، ص٢١ ، ط٤

([2]) سورة هود ، الآية ١٠٢

([3]) أخرجه البخاري في صحيح البخاري مع كشف المشكل لابن الجوزي ج٣ ، باب التفسير، رقم٤٦٨٦ ص٤٠٢

([4]) سورة هود ، الآية ١٠٢

([5]) سورة الأعراف ، الآية ١٦٣

([6]) الدر المنثور ، للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي ، ج٤ ، ص ٤٧٤ – .

([7]) سورة محمد الآية ١٣

عليه وسلم وهو سيد الرسل وخاتم الأنبياء([1]).

وأيضاً قوله عز وجل : (أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)([2]) أي ما أجابوا لوطاً إلا أن هموا بإخراجه ونفيه ومن معه من بين أظهرهم فأخرجه الله تعالى سالماً وأهلكهم في أرضهم من غريب مما تبين([3]) وقوله : (إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) قال قتادة : عابهم بغير عيب . وقال مجاهد : إنهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء . وروى مثله عن ابن عباس أيضاً([4]) .

وقوله عز وجل : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا)([5]) وقوله (إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ)([6]) ، وقوله : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ)([7]) وقوله : (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ)([8]) ، وقوله تعالى: (وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ)([9]) و(وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً)([10]) أي أهل الأمم السابقة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم (وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً) أي جعلنا له مدة معلومة ووقت معلوم لا يزيد ولا ينقص ، وفيه عظة وعبرة لمن يكذب بعدهم بأنه يصيبهم ما أصاب هؤلاء المكذبين .

([1]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري ، ج٢ ، ص١٢٥ ، ط بدون ولا ت . ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - الزمخشري هو : أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، ولد في السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧هـ بزمخشر وهي قرية كبيرة في خوارزم ، رحل إلى بخارى وأخذ الأدب عن شيخه منصور ، ورحل إلى مكة وجاور فيها كثيراً وألف فيها كتابه الكشاف ، توفى سنة ٥٣٨هـ ، وهو حنفي المذهب ، معتزلي العقيدة .

([2]) سورة الأعراف ،الآية ٨٢

([3]) روح المعاني في القرآن ، للآلوسي ، ج٩ ، ص٦١٩

([4]) تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن كثير ، ج١ ، ص٣٠٨ ، ط ت ، ط١ ، ت ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

([5]) سورة يوسف ، الآية ٨٢

([6]) سورة العنكبوت ، الآية ٣١

([7]) سورة يس ، الآية ١٣

([8]) سورة الكهف ، الآية ٧٧

([9]) سورة الأنبياء ، الآية ٧٤

([10]) سورة الكهف ، الآية ٥٩

٥

وجاء أيضاً في قوله عز وجل : (ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ)([1]) وذلك إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وإنذارهم سوء العاقبة وهو خبر مجزوم ، أي الأمر ذلك (أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى) تعليل : أي الأمر ما قصصناه عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بسبب ظلم قدموا عليه ، أو ظلماً على إنه لو أهلكهم وهم غافلون ولم ينبهوا برسل وكتب لكان ظالماً وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح([2]) .

وكذلك القرية بمعنى أهلها في قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ)([3]) وقوله : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا) وقوله (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) ([4])واختلف القراء في قوله : (أمرنا مترفيها) فقرأ عامة قراء الحجاز والعراق (أمرنا) بقصر الألف والتخفيف في الميم والفتح، فالأغلب في تأويله أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها بمعصيتهم([5]) . وجاء في الحديث : حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (أمرنا مترفيها) بطاعة الله فعصوا .

وقرأ أبو عثمان (أَمَّرنا) بتشديد الميم بمعنى الإمارة. حدثنا أحمد بن يوسف قال : حدثني القاسم ، قال : ثنا هيثم عن عوف عن أبي عثمان النهدي قرأ (أَمَّرنا) مشددة ، وبهذا أولوها بمعنى سلطنا أشرارها فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب([6]) .

وجاء في قوله (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ)([7]) أي على أهل قرية ، فالكلام على تقدير مضاف والقرية مجاز عن أهلها ، والحرام مستعار للمتتبع وجوده ، إن كل واحد منهم غير مرجو الحصول . وذكر أنه قد حمل

([1])سورة الأنعام ، الآية ١٣١

([2]) الكشاف ، للإمام الزمخشري ، ج٢ ، ص١٢٥

([3]) سور سبأ ، الآية ٣٤

([4]) سورة القصص ، الآية ٥٨

([5]) تفسير القرآن العظيم ، للإمام ابن كثير ، ج٣ ، ص١٢٥

([6]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة الآلوسي ، ج٧ ، ص٩٠-٩١

([7]) سورة الأنبياء ، الآية ٩٥

الحرام في هذه الآية على التحريم بالتغيير كما في قوله تعالى:(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ)([1]).

وقرأ أبو حنيفة وحمزة والكسائي وأبو بكر وطلحة والأعمش وأبو عمر في رواية (حرم) بكسر الحاء وسكون الراء([2]) .

وفي قوله عز وجل : (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ) ([3]) أي وكما تبع هؤلاء الكفار آباءهم بغير حجة ولا برهان كذلك فعل من قبلهم من المكذبين ، فما بعثنا قبلك رسولاً في أمة من الأمم (إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) يعني لا قال المتنعمون فيها الذين ابطرتهم النعمة وأعمتهم الشهوات والملاهي عن تحمل المشاق في طلب الحق : إنا وجدنا أسلافنا على ملة ودين وإنا مقتدون بهم في طريقتهم . قال البيضاوي : الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك على أن التقليد في نحو هذا ضلال قديم واسلافهم لم يكن لهم سند منظور يعتد به . وذكر هذه الآية (مقتدون) وفي أخرى (مهتدون) لأن معناها واحد([4]) .

وأيضاً قال تعالى : (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) ([5]). (لقد أتوا) يعني كفار مكة (على القرية) قرى لوط (التي أمطرت مطر السوء) يعني العجالة (أفلم يكونوا يرونها) أي ألم يروا ما فعل بها وبأهلها فلا يكذبوك بما تقول لهم ، فرد القرآن نفسه بما في نفوسهم لأنه عالم عز وجل بأحوالهم قائلاً: (بل كانوا لا يرجون نشوراً) أي لا يرجون ولا يخافون البعث بعد الموت لأنهم لا يؤمنون به.وهنا أريد القرية لذاتها وأهلها لأن العذاب بالمطر أصاب الاثنين معاً([6]).

([1]) سورة القصص ، الآية ١٢

([2]) جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري ، ج١٣ ، ص٥٤-٥٧ - .

([3]) سورة الزخرف ، الآية ٢٣

([4]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ج٣ ، ص١٥٢ ، جامع بين المأثور والمنقول

([5]) سورة الفرقان ، الآية ٤٠

([6]) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، لابن طاهر محمد بن يوسف الشافعي ، ص٣٦٣ ، بدون تاريخ - و.

وجاء في قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى)([1]) .

حدثنا أبو معاوية عن برير بن عبدالله عن ابن بوده عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تبارك وتعالى يملي ، وربما قال يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم تلا قوله : (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى)([2]) ([3]) .

وذكرت القرية أيضاً لذاتها في عدة مواضع نذكر منها قوله تعالى : (أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) ([4]) وقوله : (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)([5]) و(قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا)([6]) .وغيرها من الآيات التي ذكرت وأريد بها القرية البلد لذاتها .

ومما ذكرناه آنفاً من معاني القرية وتفسيرها في القرآن الكريم نجد أن الله عز وجل ذكر فيه كل القرى والأمم السابقة مبيناً فيها أحوالهم قبل بعثة الأنبياء إليه وأحوالهم مع رسلهم من تكذيب وإعراض وتهديد لرسلهم بالقتل والعذاب والتشديد ويدعهم عز وجل يتمتعوا حتى يظنوا أنّ الله لا يعذبهم ، ثم ينذرهم بالعذاب على لسان الرسل ومن ثم ينزل عليهم عذابه الحق ، مبيناً لهم مدى قوته وقدرته ونصرته لرسله ، حتى يعلموا أنّ رسلهم على حق وأنهم مرسلون من عنده وجاء القرآن الكريم وقص كل هذه القصص فيه حتى يتدارك أهل هذه الأمة ما وقع فيه الذين من قبلهم فيهلكون بما أُهلكوا به ، ولكن بكل أسف قالوا مثل ما قال الأولون.

ولكن الله لم يهلكهم بعذاب استئصال كما فعل مع أولئك نسبة لدعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأن لا يهلك أمته بعذاب وإنما يؤخرهم إلى يوم القيامة وهذا من رحمته بنا عز وجل ، ولولا ذلك لأهلك الكثير منها بسبب ما انتشر فيها من فساد في العقيدة والعمل ونسأل الله السلامة والعافية .

([1]) سورة هود ، الآية ١٠٢

([2]) سورة هود ، الآية ١٠٢

([3]) الجامع الصحيح سنن الترمذي ، إعداد الشيخ هشام سمير البخاري ، ج٥ ، ص٢٨٨ ، الحديث رقم ٣١٢٠

([4]) سورة الأعراف ، الآية ٨٢

([5]) سورة الزخرف ، الآية ٣١

([6]) سورة النمل ، الآية ٣٤

المطلب الثالث

القرية في الحديث النبوي الشريف

جاءت القرية في الحديث النبوي الشريف كذلك كثيرة كما في حديث علي كرم الله وجهه : أنه أتى بضب فلم يأكله ، وقال : (إنه قروي) أي من أهل القرى ، يعني يأكله أهل القرى والبوادي والضياع دون أهل المدن([1])

إن نبياً من الأنبياء أمر بقرية النمل فأحرقت ، وهو مسكنها وبيتها والجمع قرى على غير قياس .

وأيضاً في الحديث : (أمرت بقرية تأكل القرى)هي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . ومعنى أكلها القرى . ما يفتح على أيدي أهلها من المدن([2]) .

وفي المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة والسري والربيع والجمهور وغيرهم في قوله تعالى : (ادخلوا هذه القرية) جاءت بمعنى بيت المقدس ، وقال الكلبي : دير ساير أباد ، وقال السدي : دير سلمان باد ، وقيل : دير هرقل . وقيل : المؤتفكة . وقيل قرية العنب على فرسخين من بيت المقدس . والمشهور إنها بيت المقدس . قال عكرمة والربيع ووهب([3]) . حدثني عبدالأعلى ابن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إن رجلاً زار أخاً في قرية أخرى فارصد الله له على مدرجته - طريقه - ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربها - تقوم باصلاحها - قال لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل . قال : قال : فإني رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك لما أحببته فيه([4]) .

([1]) معجم متن اللغة ،العلامة الشيخ أحمد رضا ، ج٤ ، ص٥٥٥

([2]) لسان العرب ، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي ، ج١٥ ، ص١٧٧

([3]) تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين محمد البغدادي الآلوسي ، ج١ ، ص٢٦٤

([4]) موسوعة السنة ، الكتب الستة وشرحها ، صحيح مسلم ، ج٣ باب فضل الحب من الله ص١٩٨٨

المبحث الثاني

الفرق بين القرية والأمة والقوم

المطلب الأول : الأمة

المطلب الثاني : القوم

المطلب الثالث : الفرق بين القرية

المطلب الأول

الأمة

الأمة لغة : الدين

قال الشاعر :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة هو طائع

والأمة : الجماعة من الأمم والطاعة والعالم الواحد الصالح . وهي الأم كما قال الشاعر :

تقبلها من أمة ولطالما تتوزع في الأسواق منها خمارها

الأمة : الجماعة ، قال الأخفش : هو في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل جنس من الحيوان أمة([1]) .

الأمة : الطريقة والدين ، يقال : فلان لا أمة له أي لا دين له ولا نحلة .

قوله تعالى:(كنتم خير أمة) قال الأخفش : يريد أهل أمة، أي كنتم خير أهل دين([2])

الأمة : الحين ، قال تعالى : (وادكر بعد أمة) .

قال ابن قتيبة : أصل الأمة : الصنف من الناس والجماعة ، ويقال الأمة ويراد بها الحين ، ويراد بها الإمام والرباني .

قال ابن فارس : الأمة : القامة في قول القائل :

وإن معاوية الأكرمين حسان الوجوه طوال الأمم([3])

الأمة : الكثير النعمة .

الأمة : الجماعة

وكل جنس من الحيوان أمة ، والطريقة أيضاً([4]) .

([1]) معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية ، وضع عبدالحليم محمد قنيس ، ص١٧

([2]) مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي ، ص٢٥-٢٦

([3]) نزهة الأعين النواظر علم الوجوه والنظائر ، جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، دراسة محمد عبدالكريم كاظم ، الطبعة الثانية ، ص١٠٤،٢-١٤٤

([4]) الصحاح في اللغة والعلوم ، للعلائي ، ص٣٧

الأمة اصطلاحاً :

ذكر أهل التفسير أن الإمة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الجماعة ، ومنه قوله تعالى : (وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ)([1]) منها (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ)([2]) وكذلك (أُمَّةٌ قَائِمَةٌ)([3]) و(مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ)([4]) و(وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)([5]) .

الثاني : الملة :

ومنه قوله عز وجل : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)([6]) وكذلك (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً)([7]) وقوله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)([8]) (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)([9]) .

الثالث : الحين :

ومنه قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ)([10]) وكذلك : (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)([11]) وليس في القرآن غيرها وأراد بالحين في الآيتين . وقال ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن . كأن الأمة من الناس لأن الناس ينقرضون في الحين ، فأقيمت الأمة مقام الحين([12]) .

([1]) سورة البقرة ، الآية ١٢٨

([2]) سورة البقرة ، الآية ١٣٤

([3]) سورة آل عمران ، الآية ١١٣

([4]) سورة المائدة ، الآية ٦٦

([5]) سورة الأعراف ، الآية ١٢٧

([6]) سورة البقرة ، الآية ٢١٣

([7]) سورة يونس ، الآية ١٩

([8]) سورة المائدة ، الآية ٤٨

([9]) سورة الأنبياء ، الآية ٩٢

([10]) سورة هود ، الآية ٨

([11]) سورة يوسف ، الآية ٤٥

([12]) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لابن القيم الجوزية ، ص١٤٢-١٤٤

الرابع : الإمام

ومنه ، قوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً)([1]) قال ابن قتيبة يعني إماماً يقتدى به فسمى أمة لأنه سبب الاجتماع ، ويجوز أن يكون سمى أمة لأنه اجتمع فيه من خلال الخير ما يكون مثله في الأمة .

خامساً : الصنف :

ومنه قوله تعالى : (وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم)([2]) أي اصناف فكل صنف من الطير والدواب مثل بني آدم في طلب الغذاء ونوقي الممالك ،ونحو ذلك قاله ابن قتيبة .

الأمة : الجماعة أي جماعة كانت ، إلا أن هذه الجماعة وصفت بأنها وسطاً في قوله : (أمة وسطاً)([3]) وفيه قولان :

قال بعضهم : وسطاً : عدلاً . وقال بعضهم أخياراً ، واللفظان مختلفان والمعنى واحد ، لأن العدل خير ، والخير عدل([4]) .

وقيل في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : أنه من أوسط قومه لأنه من خير مكان في نسل العرب . وكذلك جُعلت أمة وسطاً أي خياراً . وقوله عز وجل: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)([5]) أي على دين واحد . والأمة لها عدة معاني ، فمنها أن الأمة : الدين والقامة . يقال فلان حسن الأمة - أي حسن القامة - والأمة الغربة والأمة الرجل الذي لا نظير له كما في قوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً)([6]) .

وقال عدي بن زيد : كم بعد الفلاح والرشد والأمة : وانتهم هناك الطيور ووردت لفظة أمة وأمه وأمته وأمتكم ، وأمها في القرآن الكريم إحدى وخمسين مرة ، تحمل كل المعاني التي أشرنا إليها سابقاً وغيرها والتي سوف

([1]) سورة النمل ، الآية ١٤٠

([2]) سورة الأنعام ، الآية ٣٨

([3]) سورة البقرة ، الآية ١٤٣

([4]) معاني القرآن وإعرابه ، للزجاج ، شرح وتحقيق الدكتور عبدالجليل عبده شلبي ، ج١ ، ص٢٠-٣٥

([5]) سورة البقرة ، الآية ٢١٣

([6]) سورة النحل ، الآية ١٢٠

نذكرها كما في قوله تعالى : (حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً)([1]) قيل المراد بها أصلها وعظيمتها كأمهات الرسائق والأقاليم ، حكاه الزمخشري وابن الجوزي وغيرهما ، وقوله أيضاً (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)([2]) .

جاء في قوله تعالى : (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ)([3]) أ على دين - وقرى (إمة) بالكسر ، وكلتاهما الأم وهو القصد ، فالأمة الطريقة التي تؤم ، أي تقصد كالرحلة للمرحل إليه ، والأمة الحالة التي يكون عليها الأم . وهو القاصد ، وقيل على نعمة وحالة حسنة([4]) .

وقوله : (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)([5]) وكذلك (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ)([6]) .

وفي قوله تعالى : (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) بل للإضراب وهو الانتقال من كلام إلى آخر ، أي لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية على ما زعموا بل اعترفوا بأنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة .

قال أبو السعود : الأمة : الدين والطريقة سميت أمة لأنها تؤم وتقصد([7]) .

وجاء في قوله تعالى : (مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) أي من أهل الكتاب (أمة مقتصدة) جماعة عادلة مستقيمة ، يعني عبدالله بن سلام وأصحابه ويحيى الراهب وأصحابه والنجاشي واصحابه وسلمان الفارسي واصحابه (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) بئس ما يصنعون من كتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ، ومنهم كعب بن مالك الاشرف وكعب بن أسد ومالك

([1]) تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص٥٢٥

([2]) سورة القصص ، الآية ٥٩

([3]) سورة النحل ، الآية ٩٣

([4]) الكشاف للزمخشري ، ج٣ ، ص٤٨٤

([5]) سورة النحل ، الآية ٩٢

([6]) سورة القصص ، الآية ٢٣

([7]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ج٣ ، الطبعة السادسة ، ط٩ ، بدون تاريخ ، ص١٥٤

ابن الصيف وسعيد بن عمرو وأبو ياسر وحيي بن أخطب ، فسر الأمة هنا بالجماعة وذكرهم بأسمائهم مفردة([1]) .

في قوله تعالى : (أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ)([2]) أي لأن تكون هي جماعة المؤمنين . قال مجاهد : كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من كان أعز منهم واشرف فينقضون حلف الأولين ويحالفون الذين أعز وأمنع . وايضاً ذكره بمعنى الجماعة مرة كافرة وأخرى مؤمنة([3]).

وجاء في قوله تعالى : (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)([4]) (إن هذه) أي ملة الإسلام (أمتكم) دينكم أيها المخاطبون ، أي يجب أن تكونوا عليها (أمة واحدة) حال لازمة . وفي قراءة بتخفيف النون وفي أخرى بكسرها([5]) .

وجاء في قوله تعالى : (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)([6]) أي : أذكر أيها الرسول لهؤلاء المشركين يوم نبعث من كل أمة - جيلاً من الناس - شاهداً عليهم ، هو نبيهم يشهد بما أجابوه عما بلغهم عن الله تعالى ، إما بالإيمان، وإما بالكفر والعصيان ، كما قال تعالى : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً)([7]) .

وقوله تعالى : (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ)([8]) يدل على ما نقوله في الآجال وإنه الوقت الذي يعلم إن موته وهلاكه يحصل فيه ، فلا يجوز أن

([1]) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، للشافعي ص١٦٩

([2]) سورة النحل ، الآية ٩٢

([3]) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين النيسابوري ، المتوفى سنة ٧٢٨هـ ، ج١٢ ، ص١١٤ ، بدون طب ولا ت .

([4]) سورة الأنبياء ، الآية ٩٢

([5]) الفتوحات الآلهية بتوضيح تفسير الجلالين للرقائق الخفية ، لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، متوفى سنة ١٢٠٤هـ - ج٣ ، ص١٩٤ ، بدون ط ، ولا ت .

([6]) سورة النحل ، الآية ٨٩

([7]) سورة النساء ، الآية ٤١

([8]) سورة الحجر ، الآية ٥

يتقدم أو يتأخر ، إن كان الله يقدر على تقديمه وتأخيره ، لكنه إذا حكم بأنه يحدث في ذلك الوقت لم يجز خلافه([1]) .

وجاء في قوله تعالى : (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً)([2]) بتخفيف الهمزتين وإبدال الثانية ياء ، أي يقتدي بهم في الخير (يهتدون) الناس (بأمرنا) أي إلى ديننا([3]) .

وقوله (مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ)([4]) ، يدل على ما نقوله في الآجال وأنه الوقت الذي يعلم أن موته وهلاكه يحصل فيه فلا يجوز أن يتقدم أو يتأخر ، إن كان الله يقدر على تقديمه وتأخيره لكنه إذا حكم بأنه يحدث في ذلك الوقت لم يجز خلافه([5]) .

الأمة في الحديث الشريف :

حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم حدثنا بشر ، حدثنا ابن جابر ، حدثنا أبو عبد السلام ، عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها ، فقال قائل : أومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل كثر ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، لينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن) فقال قائل : يا رسول الله ما الوهن ؟ قال : (حب الدنيا وكراهية الموت)([6]) .

وفي قوله (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ)([7]) أي على طريقة ومذهب آبائنا ، قال أبو عبيد : هي الطريقة والدين وبه قال ابن عباس وقتادة وغيرهما([8]) .

([1]) متشابه القرآن ، للقاضي عبد الجبار أحمد الهمذاني ، تحقيق د. عدنان محمد زرزور ، جامعة دمشق ، القسم الثاني ، ص٤٢٤

([2]) سورة الأنبياء ، الآية ٧٣

([3]) الفتوحات الإلهية،لسليمان بن عمر العجلي الجمل،ج٣،ط.ت،بدون ط ولا ت.دار إحياء التراث العربي ،بيروت

([4]) سورة الحجر ، الآية ٥

([5]) متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار أحمد الهمازني ، القسم الثاني ، ص٤٢٤ ، ط . ت ، بدون ط ولا ت .

([6]) سنن أبي داود ، ج٤ ، أخرجه أحمد في مسنده ١٩٧/٥ ، من طريق يحيى

([7]) سورة الزخرف ، الآية ٢٢

([8]) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للسيد أحمد الطيب صديق بن حسن بن الحسين القنوجي البخاري ، ج١٣ ، ص٣٣٨

وجاء أيضاً : حدثنا إبراهيم بن مسلم حدثني زهير بن حرب ، حدثنا سبابة حدثني درقام عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقي به) (الإمام جنة) أي كالستر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي ببيعة الإسلام . ويتقه الناس ويخافون سطوته . (ويقاتل من ورائه) أي يُقاتَل معه الكفار والخوارج وسائر أهل الفساد والظلم([1]) .

ووردت في الحديث : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عثمان بن عمر عن مالك ابن معزل عن حميد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لجهنم سبعة أبواب كل باب منها لمن سل السيف على أمتي ، أو قال : على أمة محمد).

وأيضاً حدثنا عبد بن حميد حدثنا أبو علي الحنفي عن ابن أبي ذئب عن المغيرة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح([2]) .

([1]) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، ج٤ ، ص٢٣٠ ، باب الإمام جنة ، بدون ط ولا ت

([2]) الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، طبعة جديدة ، إعداد الشيخ هاشم سمير البخاري ، ج٥ ، الحديثين (٣١٣٦-٣١٣٧) ، كتاب التفسير ص٢٩٧

المطلب الثاني

القوم

القوم لغة :

القوم أصله المصدر وهو الجماعة من الرجال والنساء معاً أو الرجال خاصة ، وما دخل فيه النساء على التبع ، وهو الأقوى ، ولا واحد له من لفظه (يذكر ويؤنث) ويجمع أقوام وأقاوم ، وأقايم ، وأقاليم . وقوم الرجل : تبعته وعشيرته .

ويقال : قوم من الجن ، كما يقال : ناس من الجن([1]) .

القوم : الرجال دون النساء ولا واحد له من لفظه وجمع القوم : أقوام وأقاويم ، ويذكر ويؤنث لأن أسماء الجموع لا واحد لها من لفظها ، إذا كان للآدميين يذكر ويؤنث مثل : رهط ونفر ، قال تعالى : (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ)([2]) فذكر، وقال : (كذبت قوم نوح)([3]) فأنث . فإن صغرت لم تدخل فيها الهاء ، وقلت قييوم ورهيط ونفير .

القوم : الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه قال زهير :

وما أدري ولسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء([4])

القوم اصطلاحاً :

ورد لفظ القوم في القرآن الكريم في حوالي ثلاثمائة وثلاث وثمانين موضعاً، كلها تحمل معنى الجماعة كما في الآيات التالية : جاء في قوله تعالى : (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ)([5]) وقوله : (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ

([1]) معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة ، للعلامة الشيخ أحمد رضا ج٤ ، ص٦٨٤

([2]) سورة الأنعام ، الآية ٦٦

([3]) سورة الشعراء ، الآية ١٠٥

([4]) الصحاح في اللغة والعلوم ، للعلائي ، ص٩٦٥-٩٦٦

([5]) سورة آل عمران ، الآية ١٤٠

إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)([1]) وقال تعالى : (وقَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وكَادُوا يَقْتُلُونَنِي)([2]) وأيضاً :(ومَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ)([3]).

وجاءت مجردة من الألف واللام وذلك في قوله تعالى : (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ)([4]) وقوله : (أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ)([5])([6]) .

وجاء في قوله تعالى : (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ)([7]) وقال تعالى : (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ)([8]) و(قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ.)([9]) أي قالت الرسل لهم : ليس شؤمكم بيننا ، وإنما شؤمكم بينكم وبكفركم وعصيانكم ودعوناكم إلى توحيد الله ، فتشاءمتم بنا وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب ؟ (بل أنتم قوم مسرفون) أي ليس الأمر كما زعمتم ، بل أنتم عادتكم الإسراف في العصيان والإجرام ، وهو توبيخ لهم مع الزجر والتقريع([10]) .

وأيضاً جاء في قوله تعالى : (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ) أي إن أصابكم جرح يوم أحد (فقد مس القوم) فقد أصاب أهل مكة يوم بدر جرح مثل ما أصابكم يوم أحد([11]) .

وقال تعالى : ((وقَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) (ابن أم) بكسر الميم وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ، وقاربوا يقتلونني فلاتفرح بي

([1]) سورة المائدة ، الآية ٥١

([2]) سورة الأعراف ، الآية ١٥٠

([3]) سورة يونس ، الآية ١٣

([4]) سورة يونس ،الآية ٩٨

([5]) سورة هود ، الآية ٨٩

([6]) معجم كلمات القرآن العظيم ، محمد عدنان سالم ، محمد وهبي سليمان ، إعادة الطبعة الأولى ص٨١٣

([7]) سورة الأنبياء ، الآية ٧٤

([8]) سورة يس ، الآية ١٩

([9]) سورة الأنبياء ، الآية ٧٤

([10]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ج٣ ، ص٨١٣ ، ط٦

([11]) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، لأبي طاهر ، ص٥٦ ، بدون تاريخ

الأعداء باهانتك إياي (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) بعبادة العجل في المؤاخذة([1])

وجاء في قوله عز وجل : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)([2]) هذا من لطفه تعالى أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ، ليفهموا منهم ما يريدون ، وما أرسلوا به إليهم([3]) ..

وفي قوله تعالى : (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ)([4]) . أي نجيناه من قومه لأنهم كانوا فاسقين وهو (إنه من الصالحين)([5]) .

وذكرت في قوله : (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)([6]) وقوله : (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ)([7]) وقوله تعالى : (وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)([8]) وأيضاً : (إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)([9]) .

وذكر تعالى أيضاً في قوله : (قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ)([10]) عندما اتخذ قوم موسى العجل ، وقال تعالى : (مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ)([11]) و(أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً)([12]) وكذلك قوله : (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى)([13]) وأيضاً قوله : (أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ)([14])

([1]) الفتوحات الإلهية ، لسليمان بن عمر العجلي ، ج٣ ، ص١٩٣-١٩٤

([2]) سورة إبراهيم ، الآية ٤

([3]) التفسير المنير ، للأستاذ وهبه الزحيلي ، ج١٣ ، ص٢٠٣

([4]) سورة الأنبياء ، الآية ٧٤

([5]) الفتوحات الإلهية ، ج٣ ، ص١٩٥

([6]) سورة الجاثية ، الآية ٤

([7]) سورة هود ، الآية ٨٤

([8]) سورة العنكبوت ، الآية ٣٥

([9]) سورة الأنعام ، الآية ٧٤

([10]) سورة طه ، الآية ٨٥

([11]) سورة هود ، الآية ٤٩

([12]) سورة يونس ، الآية ٨٧

([13]) سورة الأحقاف ، الآية ٣٠

([14]) سورة الأعراف الآية ١٢٧

وقوله : (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ)(١)(٢).

القوم في الحديث النبوي الشريف :

حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب ، سكندراني ، عن سهيل يعني - ابن أبي صالح - عن أبيه عن أبي هريرة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون قوماً وجوههم المجان المطرقة(٣) ، يلبسون الشعر)(٤).

حدثنا قتيبة وابن السرح وغيرهما قالوا : حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه في رواية قال ابن السرح : إن النبي صلى الله عليه وسم قال : (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين ، زلق(٥) الأنف كأن وجوههم المجان المطرفة)(٦) .

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، حدثنا أبو بكر بن عباس عن عاصم عن ذر عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الإسناد سفهاء الأحلام ، يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم ، يقولون من خير البرية ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)(٧) .

وأخرج الإمام أحمد عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لم يبعث الله عز وجل نبياً إلا بلغة قومه)(٨) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٢٧

(٢) سورة هود ، الآية ٩٨

(٣) معجم كلمات القرآن العظيم ، محمد عدنان سالم ، إعادة الطبعة الأولى ، ص٨١٣ -٨٢١

(٤) المجان المطرقة : التي ألبست الجلد والعصب

(٥) أخرجه مسلم في كتاب (الفتن) باب (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، ص٢٢٣٣ ، صحيح

(٦) زلق : زلق المكان : ملس (ملس الا توفى)

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب (قتال الذين ينتعلون الشعر) ١٢٣/٦ ، حديث رقم ٢٩٢٩ ، متفق عليه ، وأخرجه أيضاً مسلم .

(٨) صحيح الترمذي شرح الإمام ابن العربي المالكي ، ج٩ ، باب صفة المارق من باب الفتن ، ص٣٧

(٩) التفسير المنير ، للزحيلي ، ج١٣ ، ص٢٠٣

المطلب الثالث

الفرق بين القرية والأمة والقوم

إذا رجعنا إلى تعريف القرية نجد أنها تعني المكان الذي يجتمع فيه كل شيء من إنسان أو حيوان أو جماد وغيرها وأحياناً يعبر بها عن ساكنيها كما ذكرنا ذلك سابقاً .

وكذلك الأمة هي الطريقة والدين والحين والجماعة وأحياناً يعبر بها عن الفرد الواحد إذا اجتمعت فيه صفات حميدة كثيرة . وكذلك الإمام في الصلاة والقائد وغيرها وكل هذا يعني القصد أو الطريقة التي تقصد وتؤم .

أما القوم فإنما تعني الجماعة من الناس ، أحياناً يراد بها الرجال دون النساء

ومن هنا يمكننا القول بأن القرية والأمة والقوم تكمل كل منها الأخرى ، حيث إنها تعبر عن جماعة من أي شيء في أي مكان وتقصد كطريقة أو دين أو زمن أو اتجاه .

ولكن نجد أن القرية تأتي في كثير من الأحيان بمعنى الأمة والقوم لأنها تشمل معناها ، فهي المكان الذي يأوي أو يجتمع فيه الأمة والقوم . حتى أنا نجد الآن يقال أن العالم أصبح قرية صغيرة ، نسبة لسهولة الاتصال بين أقطاره ، وسهولة الوصول من مكان إلى آخر لسرعة وسائل النقل والحركة .

وبهذا نجد أن ثلاثتها يمكن التعبير به عن الآخر وأحياناً يفرق بين كل واحدة لتعبير معين . والله أعلم بذلك .

المبحث الثالث

نماذج من القرى الغابرة

المطلب الأول : قوم نوح

المطلب الثاني : قرية شعيب

المطلب الأول

قوم نوح

الرسالة :

ظل قوم نوح يعبدون الأصنام دهراً طويلاً واتخذوها آلهة يرجون منها الخير ويدفعون بها الشر، ويردون كل شيء في الحياة إليها ودعوها بمختلف الأسماء ، تارة وداً وسواع ويغوث وتارة يعوق ونسراً ، على حسب ما يملي عليهم الجهل ويزين لهم ، فأرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام ، وكان رجلاً فصيح اللسان ، واضح البيان ، رزين الحصاء - الفعل والرأي - بعيد الأناة - العلم - رزقه الله صبراً على الجدل ، وقدرة على تصريف الحجج وبصيراً بمسالك الإقناع.

(دعا قومه إلى الله فأعرضوا ، فأنذرهم بالعقاب فعموا وصموا ورغبهم في الثواب فوضعوا أصابعهم في آذانهم واستكبروا ، كما حكى ذلك القرآن مبيناً كفرهم وطغيانهم وعاقبته([1]) .

قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)([2])أي بأن أنذر قومك (العذاب الأليم) الفرق (أَنِ اعْبُدُوا اللَّه)([3]) بضم النون قرأ بها ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وعلي بن نصر عن أبي عمرو، قرأ عاصم وحمزة وعبدالوارث عن أبي عمرو (أَنِ اعْبُدُوا اللَّه) بكسر النون ، (يغفر لكم من ذنوبكم) يغفر لكم ذنوبكم ، قال السدي ومقاتل ، (يغفر لكم من ذنوبكم) يغفر لكم ذنوبكم ، قال السدي ومقاتل وقال الزجاج : إنما دخل (من) ها هنا لتخصص الذنوب من سائر الأشياء ، ولم تدخل لتبعيض الذنوب ومعنى يغفر لكم من ذنوبكم إلى وقت الإيمان (ويؤخركم) أي من العذاب (إلى أجل مسمى) وهو منتهى آمالهم - فلا يهلكهم بالعذاب - والمعنى عند منتهى آجالهم غير ميتة المنذرين (أن أجل الله) فيه ثلاثة أقوال :

([1]) قصص القرآن ، محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبوال فضل ، ص١٨

([2]) سورة نوح ، الآية ١

([3]) سورة نوح ، الآية ٣

١/ قال مجاهد : أجل الموت أي أن أجل الله الذي أجلكم إليه لا يؤخر إذا جاء ، فلا ينفعكم حينئذ الأماني .

٢/ قال الحسن : إنه أجل البعث .

٣/ قال السدي : أجل العذاب([1])

وفي موضع آخر قال تعالى : (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً)([2]).

قال نوح عليه السلام مناجياً ربه وحاكياً له ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال ، بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود (رب إني دعوت قومي) إلى الإيمان والطاعة (لَيْلاً وَنَهَاراً) أي دائماً من غير فتور ولا توان (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَاراً) مما دعوتهم إليه أي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) بالغوا في التغطية بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم لئلا يبصروا كراهة النظر إليه ، أو لئلا يعرفهم فيدعوهم (وأصروا) أي أكبوا على الكفر والمعاصي (واستكبروا) عن اتباعي وطاعتي (استكباراً) شديداً (ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً)أي دعوتهم تارة بعد تارة ، ومرة عقب مرة، وعلى وجوه مختلفة ، وأساليب متفاوتة ، وثم تفاوت الوجوه فإن الجهار أشد عن الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد بأحدهما([3]) .

تصف قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه تجربة من تجارب الدعوة في الأرض ، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت ، المنكر الشريد ، وكذلك تكشف عن صورة من صور الرحمة الإلهية ، تتجلى في رعاية الله لهذا الكائن الإنسان وهدايته ، حيث تبدأ السورة بتقرير مصدر الرسالة والعقيدة وتؤكيده (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ) والراسل هو الله الذي خلف البشر وأودع فطرتهم الاستعداد لأن تعرفه وتعبده ، ثم تذكر فحوى رسالة نوح في اختصار وهي الإنذار (أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) نسبة للحالة التي انتهى إليها قوم نوح من

([1]) زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ج٨ ، ص٩٦-٩٧

([2]) سورة نوح ، الآية ٥

([3]) تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزيا القرآن الكريم ، أبي السعود محمد بن محمد العماد ، توفى سنة ٩٠١هـ ، ج٩ ، ص٣٣ . ط . ت ، بدون ط ، ولا ت .

إعراض وعناد وضلال ، تجعل الإنذار بعذاب أليم ، (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) مفصح عن نذارته ، مبين عن حجته ، ما يدعو إليه بسيط واضح (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ) عبادة لله وحده بلا شريك ، تقوى تهيمن على الشعور ، وطاعة لرسوله (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً)([1]) جزاء الإستجابة لعبادة الله وتقواه وطاعة رسوله ، هي المغفرة ، والتخليص من الذنوب التي سلفت وتأخير الحساب إلى الأجل المضروب له في علم الله ، وهو اليوم الآخر ، (إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) وراح نوح يدعو قومه يعدد ويحدد لهم في أساليب الدعوة ، ويواصل جهوده لهداية قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ويتحمل في سبيل هذه الغاية النبيلة ما يحتمل من إعراض ، واستكبار ، واستهزاء، لا يمل ولا يفتر ولا يئس أمام الإعراض والإصرار (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَاراً) فراراً من الداعي إلى الله ، وكرهوا أن يصل صوته إلى أسماعهم ، وأن تقع عليه أنظارهم : (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً)([2])

وترى الباحثة إن هنا تصوير يبرز من خلاله ملامح الطفولة البشرية العنيدة ، تبرز في وضع الأصابع في الأذان ، وستر الرؤوس والوجوه بالثياب ، وهي صورة غليظة للإصرار والعناد ، وصورة بدائية لأطفال البشرية الكبار ! وحتى وهم على هذا الحال لم يدعهم نوح وتحيّن كل فرصة واتبع كل الأساليب فجهر بالدعوة والإسرار أخرى وأطمعهم في خير الدنيا والآخرة ، وفي الغفران إذا استغفروا ربهم ، وربط بين الاستغفار وزيادة الرزق ، وهناك مواضع أخرى في القرآن تبين هذا كما في قوله : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)([3]) .

ويمضي نوح في جهاده النبيل مع قومه ، فيأخذهم إلى التفكر والنظر في آيات الله ، وينكر عليهم هذا (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً)([4]) .

([1]) سورة نوح ، الآية ٤

([2]) في ظلال القرآن – سيد قطب ، ج٦ ، ص٣٧

([3]) سورة الأعراف ، الآية ٩٦

([4]) سورة نوح ، الآيتان ١٣-١٤

وأكثر المفسرين على أن هذه الأطوار هي أطوار الجنين من النطفة إلى الخلق الكامل . وأنكر عليهم أن يكون الله بهذا الخلق المتكامل ثم هم بعد ذلك لا يشعرون في أنفسهم توقيراً للجليل الذي خلقهم ، ودعاهم إلى كتاب الكون المفتوح للتأمل فيه قائلاً : (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً)(١) يكفي هذا التوجيه لإثارة التطلع والتدبر فيما وراء هذا الخلق الهائل من قدرة مبدعة ، ثم ذكرهم بنشأتهم من الأرض وعودهم إليها مرة أخرى في قوله تعالى : (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً)(٢) وهذا تعبير عجيب يشير إلى نشأة الناس كنشأة النبات ، ثم اتجه نوح إلى توجيه قلوبهم لمعرفة نعمة الله عليهم في تيسير الحياة لهم على الأرض وتذليلها لسيرهم ومعايشهم وانتقالهم (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً) . وهذه الحقيقة قريبة لأدراكهم لأنهم يعايشونها يومياً في حياتهم ويعرفونها من قبل لكن أراد أن يلفت أنظارهم أيضاً ليزدادوا ادراكاً(٣) .

ماذا كان رد قوم نوح :

ظل نوح يناضل ويساجل ويقيم الحجج ويبسط البراهين ، حتى آمنت شرذمة - جماعة - قليلون استجابوا لدعوته وصدقوا برسالته ، أما الذين طبع الله على قلوبهم فلم يؤمنوا وسبقت لهم الشقوة ، فلم يهتدوا ، وكانوا سادة القوم فقد تمالوا عليه وتظاهروا على الاستهزاء به وتسفيه رأيه فقالوا : (ما أنت إلا بشر مثلنا) واحد منا ولو أراد الله أن يبعث رسولاً لبعث ملكاً ، ولكنا أجبنا دعوته ، ثم ما هؤلاء الأرازل من أوغاد الناس وحتالتهم وأهل الصفات الخسيسة والحرف الدنيئة الذين انقادوا إليك ، (بادي الرأي) - من غير تعمق في الفكر - من غير أن يمحصوا أرائهم وينصحوا أفكارهم ، لو كان خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء ، ثم لجوا في الجدل وامضوا في المراوغة وقالوا : ما نرى لك يا نوح ولصحبك علينا

---

(١) سورة نوح ، الآيتان ، ١٥-١٦

(٢) سورة نوح ، الآيتان ١٧-١٨

(٣) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ج٦ ، ص٣٧١٠

من فضل ، ولكن نظنكم كَاذِبِينَ[1] ! . فرد عليهم نوح لحكمة الأنبياء قائلاً : (أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي..)([1]) . حجة شاهدة بصدق دعواي وأنا في رحمة منه وفضل ، فهي عليكم عمى واشتبه الأمر ، وحاولتم ستر الشمس، فهل استطيع لكم الزاماً ؟ فكان جواب قومه بعد هذا القول الحكيم أن قالوا : (يا نوح إن أردت لنا هداية وتوفيقاً وأردت منا النصر ، فأعمد إلى هؤلاء الأوزاع - الأخلاط من الناس - الذين آمنوا بك فأقصهم عن حظيرتك ، فإننا لا نستطيع أن نجري في عنانهم ، أو نسير على أسلوبهم ، وكيف نستجيب لدين يستوي فيه الشريف والمسروق والملك والسوقة ؟([2])

قال لهم نوح عليه السلام إنها دعوة عامة شاملة لكم جميعاً يستوي فيها نبيكم وخادمكم ، والأغنياء والفقراء ، والرؤساء والمرؤسين ، وهبوا أني أجبتكم إلى مطلبكم بطردهم ، فمن الذي اعتمد عليه في نشر الدعوة ، وتأييد الرسالة ؟ وكيف أطرد قوماً نصروني وقد لقيت منكم الخذلان ووصلت كلماتي إلى قرارة نفسوهم ، وصادفت منكم الجحود والنكران !! ؟ وكيف يكون حالي بين يدي الله إذا خاصموني وحاجوني وشكوا إلى الله إني قابلت خيرهم بالكنود ، وإحسانهم بالجحود؟ إلا أنكم قوم تجهلون .

فلما اشتد بينهم الجدل وسلموا منه وضاقت صدورهم به قالوا : (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)([3]) . هنا هزي بهم نوح وقال : إنكم تسرفون في الجهل وتمضون في الحمق ، ومن أنا حتى آتيكم بالعذاب أو أصده عنكم ؟ وهل أنا إلا بشر منكم يوحي إلي ؟ إنما الهكم الله وحده ، وإنما أنا أبلغكم ما أمرت به وأبشركم بالثواب مرة ، وأنذركم بالعذاب أخرى ! إلا أن مرد كل شيء إلى الله إن شاء هداكم ، وإن شاء استعجل فأذاكم ، وإن شاء أمهلكم ، ليزيد في عقابكم ويمعن في النكاية بكم([4]) .

([1]) سورة هود ، الآية ٢٨

([2]) قصص الأنبياء ، محمد أحمد جاد المولى ، ص١٦

([3]) سورة هود ، الآية ٣٢

([4]) قصص الأنبياء ، لمحمد أحمد جاد المولى وآخرين ، ص١٧-١٨

دعاء نوح على قومه :

هكذا سلك نوح إلى أذان قومه وقلوبهم وعقولهم شتى الأساليب ، والوسائل في صبر جميل ، وجهدٍ ألف سنة إلا خمسين عاماً عاد بعدها إلى ربه الذي أرسله يقدم حسابه ، ويبث شكواه ، في بيان مفصل ، ولهجة مؤثرة ، وحلقة واحدة في سلسلة الرسالة السماوية لهذه البشرية الظالمة العاقبة !! فقال نوح : (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَاراً وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً)(١) . بعد كل هذا الجهد والدعوة ، والترغيب والترهيب ، كان العصيان والسير وراء القيادات الضالة المضلة التي تضل الناس بما تملك من مال وولد ، فلم يكن وراءها إلا الشقاء والخسران ، ومكروا بتزيين الكفر والضلال الذين تخبط فيهما القوم ، وحرضهم على الاستمساك بالأصنام التي يسمونها آلهة ، وخصوا أكبرها بالذكر ليهيج ذكرها في قلوب العامة الحمية والاعتزاز .

عندها انبعث من ذلك القلب الذي عاني ما عاني وجاهد طويلاً في الدعوة ، وانتهى إلى اقتناع بأن لا خير في القلوب الظالمة العاتية وعلم أنها لا تستحق الهدى ولا تستاهل النجاة ، فدعا عليهم قائلاً : (وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً) .

فاستجاب الله له موضحاً ما صاروا إليه (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً)(٢) فيمكن أن يكون إغراقهم في الأرض وادخالهم النار يوم القيامة ، وقد يكون هذا عذاب القبر في الفترة القصيرة بين الدنيا والآخرة (فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً) لا بنون ولا مال ولا أولياء ولا آلهتهم التي يدعونها !

وألهم قلب نوح أن الأرض تحتاج إلى غسل يطهر وجهها من الشر العارم الذي انتهى إليه القوم في زمانه ، لأن وجودهم يجمد الدعوة إلى الله نهائياً ، وعبر نوح بقوله : (إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ) عبادك المؤمنين ، بفتنتهم عن عقيدتهم

---

(١) سورة نوح ، الآيات ٢١-٢٤

(٢) سورة نوح ، الآية ٢٥

بالقوة الغاشمة ، أو بفتنة قلوبهم بماترى من سلطان الظالمين وتركهم من الله في عافية : (ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) فهم يطلقون في جو الجماعة أباطيل ، ينشئون عادات وأوضاع ونظم وتقاليد ينشأ معها المواليد فجاراً كفاراً([1]) .

من أجل هذا دعا عليهم نوح عليه السلام بدعوته الساحقة الماحقة واستجاب الله له، وغسل وجه الأرض من ذلك الشر ، جرف العواثير التي لا تجرفها إلا قوة الجبار القدير ، ولكنه تضرع خاشعاً إلى الله بأن يغفر له ، كما هو حال الأنبياء وتأدبهم في حضرة العلي العظيم لأنهم لا ينسون أنهم بشر يحتاجون لرحمته ، وأنهم يخطأون، ودعاءه لوالديه هو بر النبوة بالوالدين المؤمنين ، لأنه كان روجع فيهما كما روجع في ولده الكافر ، ودعاءه الخاص لمن دخل بيته مؤمناً هو بر المؤمن بالمؤمن ، وحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه ، وخص الذي دخل بيته لأن هذه كانت علامة النجاة ، وحصر المؤمنين الذين سيصحبهم معه في السفينة ، وأيضاً في دعوته للمؤمنين فيه شعور بآصرة القربى على مدار الزمن واختلاف السكن ، وهو السر العجيب في هذه العقيدة التي تربط بين أصحابها برباط الحب الوثيق ، وفي مقابل هذا الحب للمؤمن ، كان الكره للظالمين ، حيث قال : (لا تزد الظالمين إلا تبارا)([2]) .

وفي قوله تعالى : (مالكم لا ترجون لله وقارا) لايدل على أنه جسم يوصف بالوقار في الحقيقة ، لأنه ليس في الظاهر إن الوقار من صفته ، فيجوز لهم التعلق به ، والمراد عندنا بذلك : ما لكم لا تعظمون الله حق تعظيمه ، فتتجنبوا معاصيه وتتمسكوا بطاعته ، وفي قوله : (وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً) لا يدل على إن الضلال الذي هو الكفر من قبله تعالى ، لأن هذه اللفظة تقع محتملة فلا تدل على إنه المراد بها ، وإنما أراد بها الدعاء إن يزدهم عقاباً إلى عقابهم نسبة لما هم عليه من المحن ، لأن بكفرهم وظلمهم قد استوجبوا العقاب المعجل ، والمؤجل ، ولا يمتنع بأن يزدهم في المعجل غير ما انزله بهم ، ولا يكون المدعو إلا حسناً مستحقاً ، وقوله : (إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِراً كَفَّاراً) . لا

([1]) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٦ ، ص٣٧١١-٣٧١٢

([2]) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج٦ ، ص٣٧١٢-٣٧١٣

يصح أن يعلق به من يرى جواز تعذيب الأطفال ، لأنه يجب على هذا الظاهر أن يكون المذكور منهم في حال سقوطه فاجراً كفاراً ، وهذا مما لا يبلغه أحد ، فالمراد به : ولا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر عند البلوغ لأنه تعالى قد أعلمه أن ذلك يكون حال ذريتهم ، وندبه إلى هذا الدعاء لما فيه من المصلحة([1]) .

جاء أيضاً في قوله : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص : (أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ)([2]) مؤلم وهو صفة المعذب ولكن يوصف به العذاب وزمانه : (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلا بَشَراً مِثْلَنَا) لا مزية لك علينا تخص بالنبوة ووجوب الطاعة (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا) جمع أراذل (بادي الرأي) ظاهر الرأي من غير تعميق ، أي وقت حدوث بادي الرأي : (وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم كما لم يعلموا إلا ظاهراً من الحياة الدنيا كان الأحط أشرف عندهم والمحروم منها أرذل ، (وما نرى لكم) أي لك (عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة ، (بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) أياي في دعوة النبوة ، وإياهم في دعوى العلم بصدقك([3]) .

عندما قدم قوم نوح له الحجج رد عليهم قائلاً (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ) أي أخبروني (إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي) أي على يقين ونبوة ، صادقة لا شك فيها، وأعطاني رحمة بما أوحى إلي من التوحيد والهدى ، فخفي ذلك كله عليكم ، ولم تعتقدوا أنه حق ، أيمكنني أن ألزمكم به ، أجبر قلوبكم على الانقياد والإذعان لتلك البينة ؟ وأنتم كارهون لذلك ؟ وقال : (وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ)([4]) أخبرهم أن لا يسألهم مالاً في مقابلة ما جاء به من الوحي والهدى ، ومن هنا يؤخذ أن الواجب على العلماء وغيرهم بذل ما عندهم من العلم مجاناً ،

([1]) المتشابه من القرآن ، للهمذاني ، القسم الثالث ، ص٦٦٧

([2]) سورة هود ، الآية ٢٦

([3]) تفسير البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي ، المجلد الأول ص٧٦١

([4]) سورة هود ، الآية ٤٠

ولا ينبغي أخذ الأجرة على تعليم كتاب الله والعقائد والحلال والحرام ، كما جاء فيما رواه ابن ماجه والبيهقي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : علمت رجلاً القرآن ، فأهدى لي قوساً ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : (إن أخذتها أخذت قوساً من نار)([1]) فرددتها .

وجاء في قوله تعالى : (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ)([2]) فأمر الله نبيه نوح عليه السلام أن يحمل في السفية من كل زوجين اثنين ، وأن يسلكهم - يدخلهم - فيها ، دل على أن فيها بيوتاً ، هذا في قوله تعالى : (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) وقال : (وأهلك إلا من سبق عليه القول) وأن يحمل أهله إلا من سبق عليه القول لأنه شقي وهالك مع الكاذبين ، وأراد أن يبين من حق عليه القول فقال : (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ)([3]) إلى قوله : (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)([4]) .

قال ابن عباس : التنور وجه الأرض ، قيل له : (إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك في السفينة (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) من كل صنف من المخلوقات ذكر وانثى (وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) أي قرابتك ، وأولادك ونساءك إلا من حكم الله عليه بهلاكه ، والمراد ابنه (كنعان) وامرأته (واعلة) و (ومن آمن) ومن آمن واتبعك (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) أي وما آمن إلا نفر قليل . قال ابن عباس : كانوا ثمانين نفساً منهم نساؤه . (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) قال لمن آمن معه (اركبوا السفينة) باسم الله يكون جريها على وجه الماء وبه استقرارها . (إن ربي لغفور رحيم) أي لسائر ذنوب التائبين رحيم بالمؤمنين (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) تسير بهم وسط

([1]) سنن ابن ماجه ، للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، ج٤ ، حديث رقم ٢١٥٨ ، ص١٢٩ ، رواه أبي بن كعب

([2]) سورة هود ، الآية ٤٠

([3]) سورة هود ، الآية ٤٢

([4]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، ج٢ ، ص١٨-٢٨

الأمواج التي تشبه الجبال (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ) أي اركب معنا ولا تهلك نفسك بالغرق (ولا تكن مع الكافرين) فتغرق كما يغرقون (قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء) أي سأصعد إلى رأس جبل أتحصن فيه من الغرق ظناً منه أن الماء لا يصل إلى الجبال([1]) .

وجاء في الحديث في قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ) قال ابن عباس : (بادي الرأي) ما ظهر لنا (اقلعي) امسكي (وفار التنور) نبع الماء ، وقال عكرمة وجه الأرض ، قال مجاهد : (الجودى) جبل بالجزيرة ، (دأب) مثل حال. حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا عبدالواحد بن زياد ، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجئ نوح وأمته، فيقول الله تعالى : هل بلغت ؟ فيقول نعم أي ربي . فيقول لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : لا ، ما جاءنا من نبي ، فيقول لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد صلى الله عليه وسلم ، فنشهد إنه قد بلغ . وهو قوله جل ذكره : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) والوسط : العدل([2]) .

قال تعالى : (قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ) عندما قال ابن نوح لأبيه (سأوي إلى جبل يعصمني من الماء) جاء الرد من عند الله ، بأن ليس يعصم اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)([3]) يخبر تعالى بأنه لما أغرق أهل الأرض كلهم إلا أصحاب السفينة ، أمر الله الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها ، وأمر السماء أن تقلع عن المطر (وغيض الماء) أي شرع في النقص (وقضي الأمر) أي فرغ من أهل الأرض قاطبة ممن كفر بالله حتى ديارهم (واستوت على الجودى) السفينة فيها .

([1]) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ج٦ ، حديث رقم ٣٣٣٩ ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ص٢٤٧

([2]) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، لابن الجوزي ، حديث رقم ٤٤٨٧ ، ص٣١٣

([3]) سورة هود ، الآيتان ، ٤٣-٤٤

قال مجاهد : الجودى هو جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يومئذ من الغـــرق وتطاولت ، وتواضع هو لله فلم يغرق ، وأرست عليه السفينة .

وفي قوله تعالى : (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَـــى أُمَـــمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) يخبر تعالى عما قيل لنوح حيـــن أرست السفينة على الجودي من السلام عليه وعلى من معه من المؤمنين وعلى كل مؤمن من ذريته إلى يوم القيامة . وقال محمد بن اسحاق لمـــا أراد الله أن يكـــف الطوفان أرسل ريحاً على وجه الأرض فسـكن المـــاء واشـــتدت ينـــابيع الأرض وأبواب السماء بقوله تعالى : (وقيل يا أرض أبلعي ماءك) فجعل المـــاء ينقـــص ويفيض ويدير وكان استواء الفلك على الجودى فيما يزعم أهل التوراة في الشـــهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه وفي أول يوم من الشهر العاشـــر ، رأى رؤوس الجبال فلما مضى بعد ذلك أربعون يوماً فتح نوح كوة الفلك التي ركب فيـــها ثـــم أرسل الغراب ينظر له ما صنع الماء فلم يرجع إليه فأرسل الحمامة فرجعت إليه لم تجد لرجلها موضعاً فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها ثم مضى ســـبعة أيـــام ثـــم أرسلها ، مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع فعلم نوح أن الأرض قد برزت فلمـــا كملت السنة فيها من ارسال الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحـــد من الشهر الأول من سنة اثنين برز وجه الأرض وظهر البر وكشف نوح غطـــاء الفلك وفي الشهر الثاني من اثنين في ست وعشرين ليلة منه قيل : (قِيلَ يَـــا نُـــوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا) والله أعلم بذلك([1]) .

([1]) تفسير القرآن العظيم للإمام إسماعيل بن كثير ، ج٢ ، ص٤٤٢ -٤٤٨ ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م

المطلب الثاني

قرية شعيب

نسبه عليه السلام :

هو شعيب بن ميكيل بن يشجن ، ويقال بالسريانية يترون ، وفي هذا نظر ، ويقال : شعيب بن نوبيب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم ، ويقال : شعيب بن صيغور بن عينا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم . وقيل غير ذلك في نسبه . ذكره ابن اسحق .

وقال ابن عساكر : يقال جدته ويقال أمه ، بنت لوط ، وكان ممن آمن بإبراهيم وهاجر معه ودخل دمشق معه .

وذكر أبو عمر بن عبدالبر في الاستيعاب في ترجمة ابن سعد العنزي : إنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأسلم وانتسب إلى عنزه ، فقال صلى الله عليه وسلم : (نعم الحي عنزة مبغي عليهم منصورون رهط - قوم - شعيب وأختان موسى - جمع ختن وهو الصهر - فهذا دليل على أن شعيباً صهر موسى عليه السلام ، وإنه من قبيلة من العرب العاربة يقال لها عنزه لأنهم من عنزه بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، فإن هؤلاء بعده بدهر طويل.

وفي حديث أبي ذر الذي في صحيح ابن حبان في ذكر الأنبياء والرسل قال: (أربعة من العرب ، هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر) كان بعض السلف يسمى شعيباً خطيب الأنبياء ، يعني لفصاحته وعلو عبارته وبلاغته في دعائه قومه إلى الإيمان برسالته . وروى اسحق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر شعيب قال : (ذاك خطيب الأنبياء)([1]) .

([1]) قصص الأنبياء للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق د. مصطفى عبدالواحد ، ج١ ، ط٣ ت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص٢٤١

مدين :

تقع أرض مدين قريباً من عمان من أطراف الشام ، مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط ، وكانوا بعدهم بمدة قريبة ، ومدين عرفت باسم قومها وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل ، قوماً عرب يسكنون مدينتهم([1]) .

الدعوة إلى الله :

كان أهل مدين كفاراً يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الأيكة شركه من الإيك حولها غبضة ملتفة بها - وكانوا يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص ، فبعث الله فهيم رجلاً منهم هو رسول الله شعيب عليه السلام ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل القبيحة من بخس الناس أشيائهم وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم ، فآمن به بعضهم وفر أكثرهم .

قال تعالى : (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ)([2]) ، أي دلالة على حجة واضحة ، وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به ، والبينة هو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التي لم ينقل إلينا تفصيلها وإن كان هذا اللفظ قد دل عليها إجمالاً .

فدعاهم إلى (فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا)([3]) أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم ، وتوعدهم على خلاف ذلك بقوله : (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) وكانوا يتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك ويخيفون السبيل .

قال السري : إنهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارة ، فنهاهم الله عن ذلك بقوله : (وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً)([4]) ، وقال اسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس : قال كانوا قوماً طغاة يجلسون على الطريق يبخسون الناس ، يعني

([1]) قصص الأنبياء ، لابن كثير ج١ ، ص٢٤٢

([2]) سورة الأعراف ، الآية ٨٥

([3]) سورة الأعراف ، الآية ٨٥

([4]) سورة الأعراف ، الآية ٨٦

يعشرونهم- يأخذون العشر من أموالهم - كانوا أول من سن ذلك ، فنهاهم عن قطع الطريق الحسبة الدنيوية ، والمعنوية الدينية([1]) .

قوله تعالى : (إني أراكم بخير) أي في سعة من الرزق وكثرة من النعم ، وقال الحسن : كان سعرهم رخيصاً ، (وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ)([2]) وصف اليوم بالإحاطة وأراد أن يوم العذاب إذا أحاط بهم فقد أحاط العذاب بهم . وقيل هو عذاب النار في الآخرة ، وقيل : عذاب الاستئصال في الدنيا . وقيل : غلا السعر ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : (ما أظهر قوم البخس في المكيال والميزان إلا ابتلاهم الله بالقحط والغلاء) وقال تعالى : ()وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ)([3]) أمر بالإيفاء بعد أن نهى عن التطفيف تأكيداً (بالقسط) أي بالعدل والمقصود أن يصل كل ذي نصيب نصيبه ، (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي لا تنقصوهم مما استحقوا شيئاً (وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) بين أن الخيانة في المكيال والميزان مبالغة الفساد في الأرض (بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ) أي ما يبقيه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر بركة وأحمد عاقبة مما تبقونه أنتم لأنفسكم من فضل التطفيف بالتجبر والظلم ، قال معناه .الطبري وغيره . وقال ابن عباس : رزق الله خير لكم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) شرط هذا لأنهم إنما يعرفون صحة هذا إن كانوا مؤمنين (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) أي رقيب أرقبكم عند كيلكم ووزنكم ، أي لا يمكنني شهود كل معاملة تصدر منكم حتى أؤاخذكم بإيفاء الحق ، وقيل : أي لا يتهيأ لي أن أحفظكم من إزالة نعم الله عليكم بمعاصيكم

هذه دعوة شعيب عليه السلام لقومه ، فبما كان ردهم ؟ قال تعالى حاكياً عنهم : (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)([4]) روي أن شعيباً كان كثير الصلاة مواظباً عليها ويقل : (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)([5])

([1]) قصص الأنبياء ، ابن كثير ، ج١ ، ص٢٢٧

([2]) سورة هود ، الآية ٨٤

([3]) سورة هود ، الآية ٨٥

([4]) سورة هود ، الآية ٨٧

([5]) سورة العنكبوت ، الآية ٤٥

فلما أمرهم ونهاهم عيروه بما رأوه عليه من كثرة الصلاة واستهزءوا ، فقالوا مـا أخبر الله عنهم ، وقيل : إن الصلاة هي بمعنى القراءة ، قاله سفيان عن الأعمش . أي قراءتك تأمرك . وقال الحسن : لم يبعث الله نبياً إلا فـرض عليـه الصـلاة والزكاة ، وقال أيضاً عنهم (أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَـاء)([1]) أي إذا تراضينـا فيما بيننا بالبخس فلم تمنعنا منه ؟ (إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) يعنـون عند نفسك بزعمك ، ومثله في صفة أبي جهل : (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) ، قال قتـادة : قالوه على وجه الإستهزاء والسخرية)([2]) .

وكذلك جاء ردهم على نبيهم في قوله تعالى : (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَـحَّرِينَ)([3]) أي إنما أنت يا شعيب معلل تتعلل بالطعام والشراب كما نعلل بهما، ولست ملكاً ، (وَمَا أَنْتَ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا)([4]) تأكل وتشرب (وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ)([5]) يقول : وما نحسـبك فيما تخبرنا وتدعونا إليه إلا من يكذب فيما يقول، فإن كنت صادقاً فيما تقول بـأنك رسول الله كما تزعم : (فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ)([6]) يعني قطعاً من السماء ، وهي جمع كسفة .

جاء في الحديث : حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية عن ابن عباس ، قوله (كسفا) يقول : قطعاً([7]) .

ذكرهم شعيب عليه السلام نعم اله عليهم ، وحذرهم نغمـه الله عليـهم إن خالفوا ما أرشدهم غليه ودلهم عليه بقوله تعالى : (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَـثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)([8]) أي لا تركبوا ما أنتم عليه وتستمروا فيـه ،

([1]) سورة هود ، الآية ٨٧

([2]) الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن أحمـد الأنصاري القرطبي ، ج٩ ، ص٨٥-٨٧ ، ط١ ت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

([3]) سورة الشعراء ، الآية ١٥٣

([4]) سورة الشعراء ، الآية ١٥٤

([5]) سورة الشعراء ، الآية ١٨٦

([6]) سورة الشعراء ، الآية ١٨٧

([7]) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج٩ ، ص٤٦٨

([8]) سورة الأعراف ، الآية ٨٦

فيمحق الله بركة ما في أيديكم ويفقركم ويذهب ما به يقيكم ، وهذا مضاف إلى عذاب الآخرة ومن جمع له العذابان فقد باء بالصفقة الخاسرة !

نهاهم أولاً من تعاطي ما لا يليق من التطفيف ، وحذّرهم سلب نعمة الله منهم في دنياهم ، وعذابه في أخراهم ، وعنفهم أشد تعنيف ثم قال لهم آمراً بعد ما كان عن هذه زاجراً (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ)(١) . وهذا تنبيه بقوله تعالى : (قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ)(٢) . يعني أن القليل من الحلال خير لكم من الكثير من الحرام ، فإن الحلال مبارك والحرام ممحوق وإن كثر ، فبماذا قابل نبي الله شعيب هذا الرد الوَلم الجارح والاستهزاء هل عنّفهم واعرض عنهم ؟ تعالوا إلى رده عليه السلام قال : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الأِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)(٣) . إنها أخلاق الأنبياء الذين اصطفاهم الله إلى تبليغ رسالته إلى خلقه !! فقال لهم : أرأيتم أيها القوم (إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي) أي على الحق من الله إنه أرسلني إليكم ، (وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً) .يعني النبوة والرسالة ، وعُمي عليكم معرفتها ، فأي حيلة لي فيكم ؟ وقوله تعالى : (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ)(٤) أي ليس آمركم بالأمر إلا و،ا أول فاعل له، وكذلك النهي ، وهذه هي الصفة المحمودة ، وضدها ذميمة ، وقد نلبس بها علماء بنو إسرائيل في آخر زمانهم وخطباؤهم الجاهلون ، كما قال تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ)(٥) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتنزلق أقتاب بطنه

---

(١) سورة هود ، الآيتان ، ٨٥-٨٦

(٢) سورة المائدة ، الآية ١٠٠

(٣) سورة هود ، الآية ٨٨

(٤) سورة هود ، الآية ٨٨

(٥) سورة البقرة ، الآية ٤٤

أمعاه- فيدور بها كالرحا بالحمار ، فيجتمع أهل النار فيقول : يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى . كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه)([1]) .

ثم ارجع الأمر إلى الله ، بأنه ما يريد في جمع أمر الاصلاح في الفعال والمقال بجهدي ، وإنما التوفيق من عند الله في جميع الأحوال ، عليه أتوكل في سائر الأمر ، وإليه مرجعي ومصيري في كل أمري وهذا مقام ترغيب([2]) .

المجادلة :

بدأ قوم شعيب يجادلونه فيما جاءهم به بعد ما وجه لهم الدعوة إلى طاعة الله واجتناب نواهيه ، فقال لهم : (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ)قالوا (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) قال : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي) قالوا : (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)([3]) . فهم ضيقوا الصدر بالحق لا يريدون أن يدركوه ويقيسون القيم في الحياة بمقياس القوة المادية الظاهرة ، ففي حسابهم عصبة العشيرة لا عصبة الاعتقاد ، وصلة الدم لا صلة القلب . ثم هم يغفلون عن غيرة الله على أوليائه فلا يضعونها في الحساب (وما أنت علينا بعزيز) لا عزة التقدير والكرامة ولا عزة الغلب والقهر ولكننا نحسب حساب الأهل والعشيرة ، وهذا حال النفوس الخالية من العقيدة القويمة والمثل العالية ، فلا ترى إلا المادة([4]) .

عندئذ تأخذ شعيب الغيرة على جلال ربه ووقاره فينتقل من الاعتزار برهطه وقومه ، فيجبهم بسوء التقدير لحقيقة القوى القائمة في هذا الوجود ، ويلقى كلمته الفاصلة الاخيرة ويفاصل قومه على أساس العقيدة وينذرهم العذاب الذي

([1]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤ ، ص٢٢٩٠ ، رقم الحديث ٢٩٨٩ ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ومن ينهى عن المنكر ويفعله

([2]) قصص الأنبياء ، لابن كثير ، ج١ ، ص٢٤٣ - ٢٤٤

([3]) سورة هود ، الآية ٩١

([4]) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج١٢ ، ص١٩٥ ، ط١١، ١٤٠٥هـ

ينتظر أمثالهم : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)(١) . ويتعجب شعيب لقومه بأن جماعة من البشر مهما يكونوا من القوة والمنعة فهم أناس وهم عباد لله ضعفاء . أهؤلاء أعز عليكم من الله ؟ أهؤلاء أشد رهبة وقوة في نفوسكم من الله ؟ (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيّاً) وهذه صور حسبة للترك والإعراض ، تزيد في شناعة فعلتهم وهم يتركون الله ويعرضون عنه ، وهو رازقهم بما هم فيه من النعم !! إنه البطر وجحود الحق وقلة الحياء والتكذيب وسوء التقدير وذكّرهم بأحاطة الله بهم وعلمه بما هم فيه . إنها غضبة المؤمن لربه أن يستباح جلاله ووقاره ، فإن كان هذا حالكم فامضوا في طريقكم وخطئكم ، فقد نفضت يدي منكم (إني عامل) على طريقي ومنهجي (سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ)(٢) . أنا أم أنتم ؟ فارتقبوا العاقبة التي تنتظرنا سوياً ، وهذا تهديد لهم)(٣) .

روى ابن عباس في حديث مرفوع : أن شعيباً بكى من حب الله حتى عمي فرد الله عليه بصره ، وقال : (يا شعيب أتبكي خوفاً من النار ؟ أو من شوقك إلى الجنة ؟ فقال : بل من محبتك ، فإذا نظرت إليك فلا أبالي ماذا يصنع بي ، فأوحى الله إليه : هنالك يا شعيب لقائي فلذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي)(٤) .

ومن رحمته وخوفه على قومه من عذاب الله أراد أن يذكرهم برحمة الله وتوبته على عباده وهو رحيم بهم أرحم من الوالدة بولدها وهو الحبيب ولو بعد التوبة ولو بعد الموبقات العظام ، قائلاً لهم : (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)(٥) .

---

(١) سورة هود ، الآيتان ٩٢-٩٣

(٢) سورة هود ، الآية ٩٣

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج١٢ ، ص١٩٥ ، ١٩٥١م ، ط١١ ، ت ١٤٠٥هـ ، ص٨٥

(٤) قصص الأنبياء ، لابن كثير ، ج١ ، ص٢٤٧

(٥) سورة هود الآية ٩٠

قدر الله وأمره :

بعدما استنفذ شعيب مع قومه كل الأساليب في الدعوة إلى الله ولم يجدي معهم شيء لجأ إلى التذكير والتهديد بعذاب الله بقوله : (وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)، ولكن قومه استمروا على عنادهم وتكبرهم فماذا كان ردهم على هذا الوعد والوعيد من نبي الله شعيب ؟ (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ)([1]) .

طلبوا بزعمهم أن يروا من آمن إلى ملتهم ، فأنتصب شعيب للدفاع عن قومه المؤمنين فقال : (أولو كنا كارهين) أي هؤلاء لا يعودون إليكم اختياراً ، وإنما يعودون إليكم - إن عادوا - اضطراراً كارهين ، وذلك لأن الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب لا يسخطه أحد ! ولا يرتد أحد عنه ، ولا محيد لأحد منه ، ولهذا قال : (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ) فإنا توكلنا على الله فهو كافينا ، وهو العاصم لنا وإليه ملجأنا في جميع أمرنا([2]) .

بعد أن اتبع شعيب مع قومه كل الوسائل ولم يصل معهم إلى نتيجة في إيمانهم برسالة ربهم ، لجأ إلى ربه يستنصر به عليهم فقال : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ)([3]) . متيقناً بأن الله لا يرد دعوته لأنه أبلغ كل الحجج لقومه واستنفذ كلما يملك من تحمل وصبر على اذاهم واستفزازهم له ، ومع هذا يواصل قومه في اصرارهم وعنادهم فقالوا : (وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ)([4]) . هم ضالين ويضلون الآخرين ولكن قدرة الله في نصرة الحق على الباطل تتدخل لنصرة نبيه على قومه وإظهاره عليهم تحدياً لهم على ما قالوا ! كما قال تعالى : (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)([5]) فأين رهطهم ؟ فرجفت بهم الأرض وزلزلت زلزالاً شديداً ، أزهقت

([1]) سورة هود ، الآية ٨٨

([2]) قصص الأنبياء ، لابن كثير ج١ ، ط٣

([3]) سورة الاعراف ، الآية ٨٩

([4]) سورة الأعراف ، الآية ٩٠

([5]) سورة الأعراف ، الآية ٧٨

أرواحهم من أجسادها ، وصيرت حيوان أرضهم جماداً ، وجثثهم جاثيـــة لا أرواح فيها ولا حراك بها ولا حواس لها . وجمع الله عليـــهم أنواعـــاً مـــن العقوبـــات ، وصنوفاً من المثلات ، لما اتصفوا به من قبيح الصفات ، أورد ذلك في سياق كثير من السور بما يناسبهاففي الأعراف حكى عنهم بالرجفة هـــذه ، لأن فـــي ســـياقها ارجاف للنبي وأصحابه ، وتوعدهم بالإخراج من قريتهم ، لهذا رد عليهم مذكـــراً لهم بهذه الرجفة([1]) .

أما في سورة هود فذكر لهم (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَـــأَصْبَحُوا فِـــي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) وذلك لأنهم قالوا لنبي الله على سبيل التهكم والاستهزاء (أَصَلاتُـــكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ..) تناسب أن يذكر الصيحة التي هي كالزجر عـــن تعاطي هذا الكلام القبيح الذي واجهوا به هذا الرسول الكريم الاميـــن الفصيـــح ، فجاءتهم الصيحة أسكنتهم مع رجفة . وفي سورة الشعراء ذكر أنه أخذهم عـــذاب يوم الظلة ، وكان ذلك إجابة لما طلبوا وتقريباً إلى ما إليه رغبوا ، إنـــهم قـــالوا : (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِـــنَ الْكَـــاذِبِينَ) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُـــونَ)([2]) . فجاءهم الرد الحاسم الجزاء القاطع من عند مليك مقتدر قائلاً لهم (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)([3]) .

وذكرهم في قوله عز وجل في سورة الحجر قائلاً : (كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَـــةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)([4]) .

فبيّن في هذه الآية إن ظلمهم هو تكذيبهم رسولهم وتطفيفـــهم فـــي الكيـــل وبخسهم الناس أشياءهم ، وأن انتقامه منهم بعذاب يوم الظلة وأنه عذاب يوم عظيم، والظلة سحابة أظلتهم فأضرمها الله عليهم ناراً فأحرقتهم والعلم عند الله .

([1]) تفسير الطبري ــ جامع البيان في تأويل القرآن ، ج٩ ، ص٤٧٣

([2]) سورة الشعراء ، الآيات ١٨٥-١٨٨

([3]) سورة الشعراء ، الآية ١٨٩

([4]) سورة الشعراء ، الآيات ١٧٦-١٧٨

وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ، الايكة بالتعريف والهمز وكسر التاء ، وقرأ كذلك جميع القراء في ق والحجر ، قال أبو عبيدة : ليكة والأيكة اسم مدينتهم كمكة وبكة ، والأيكة في لغة العرب الفيضة ، وهي جماعة الشجر ، وسموا بذلك لأنهم كانوا أصحاب عياض ورياض ، ويروى أن أشجارهم كانت دوماً[1] .

وجاء عذابهم أيضاً في قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)[2] .

يرفع الستار على مصرعهم وجثثهم جاثمة في ديارهم ، أخذتهم الصاعقة التي أخذت قوم صالح ، فكان مصيرهم كمصيرهم خلت منهم الدور ، كأن لم يكن لهم فيها دور ، وكأن لم يعمروها حيناً من الدهر ، مضوا مثلهم متبعين باللعنة طويت صفحتهم في الوجود وفي القلوب .

زعم بعض المفسرين كقتادة ، وغيره أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين ، ولكنه قول ضعيف لا سند له من الصحة[3] .

وجاء أيضاً في قوله : (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) ذكروا أنهم أصابهم حر شديد ، وأسكن الله هبوب الهواء عنهم سبعة أيام ، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم في الأسراب فهربوا إلى البرية، فأظلتهم سحابة ، فاجتمعوا تحتها ليظلوا بها ، فلما تكاملوا فيها أرسلها الله ترميهم بشر وشهب ، ورجفت بهم الأرض . وجاءتهم صيحة من السماء فأرهقت الأرواح وخربت الأشباح .

(فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ)[4] . ونجى الله شعيباً ومن معه

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الامين بن محمد الشنقيطي ، ج٣ ، ص١٦٠ ، ط . ت، بدون ط ، ولا ت

(2) سورة هود ، الآية ٩٤

(3) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج١٢ ، ص١٩٢٣

(4) سورة الاعراف ، الآيتان ، ٩١-٩٢

من المؤمنين ، كما قال تعالى وهو أصدق القائلين : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)([1]) .

ثم ذكر تعالى عن نبيهم ، أنه نعاهم إلى أنفسهم موبخاً ومؤنباً ومقرعاً فقال تعالى : (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ)([2]) . أي فأعرض عنهم مؤنباً لهم بعد اهلاكهم قائلا : قد أديت ما كان واجباً علي من البلاغ التام والنصح الكامل ، وحرصت على هدايتكم بكل ما أقدر عليه ، فلم ينفعكم ذلك ، لأن الله لا يهدي من يضل ، وما لهم من ناصرين فلست أتأسف بعد هذا عليكم لأنكم لم تكونوا تقبلون النصيحة ، ولا تخافون يوم الفضيحة ، ولهذا قال : (فكيف آسي) أي أحزن على قوم كافرين ، أي لا يقبلون الحق ولا يرجعون إليه ، فحل بهم من بأس الله الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، ولا يدفع عليه ولا يمنع .

وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس ، أن شعيباً عليه السلام كان بعد يوسف عليه السلام ، وعن وهب بن منبه : أن شعيباً عليه السلام ، مات بمكة ومن معه من المؤمنين ، وقبورهم غربي الكعبة بين دار الندوة ودار بني سهم، والله أعلم بهم .

وأيضاً جاء في قوله تعالى : (وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ)(الحجر:٧٨) أي أن أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب ظالمون ، بسبب شركهم بالله وقطعهم الطريق ، ونقصهم المكيال والميزان ، فأنتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة ، وقد كانوا قريبي الزمان من قوم لوط ، ومجاورين لهم في المكان ، لذا لما أنذرهم قال : (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) . وروى ابن مردويه ، وابن عساكر عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن مدين وأصحاب الأيكة أمتان بعث الله إليهما شعيباً) . (فانتقمنا منهم) أي فعاقبناهم جزاء كفرهم ومعاقبتهم بيوم الظلة ، وعاقبنا أهل مدين

([1]) سورة هود ، الآية ٩٤

([2]) سورة الأعراف ، الآية ٩٣

بالصيحة (وإنها لبإمام مبين) أي كلاً من قرى قوم لوط وبقعة أصحاب الأيكـــة ، لطريق واضح يسلكه الناس في سفرهم من الحجاز إلى الشام ، والإمام ما يؤتم به، وجعل الطريق إماماً لأنه يؤم ويتبع حتى يصل إلى الموضع الذي يريده([1]) .

([1]) قصص الأنبياء ، لابن كثير ، ١ ، ص٢٤٩ -٢٥٤

الفصل الثاني

نماذج من القرى الناجية وأسباب نجاتها

المبحث الأول : قرية يونس عليه السلام

المبحث الثاني : قرية سبأ وأسباب نجاتها

المبحث الثالث : أم القرى

المبحث الأول

قرية يونس عليه السلام

المطلب الأول : يونس عليه السلام

المطلب الثاني : دعوة يونس لقومه

المطلب الأول

يونس عليه السلام

نشأ يونس بن متى في قرية نينوى من أرض الموصل بين قوم يعبدون الأصنام ، ثم بعثه الله نبياً يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته ، فأقام على ذلك تسعة أعوام كاملة ، ولكنهم أصموا آذانهم ، واستغشوا ثيابهم وأصروا على الباطل ، واستكبروا حتى يئس من أمرهم .

فنزل عليه الوحي أن أخبرهم أن العذاب مصبحهم بعد ثلاث ليال إذا لم يؤوبوا إلى عقولهم ، ويرجعوا عن غوايتهم ، فأخبرهم بذلك وهم يعتقدون صدقه فدب الخوف إلى قلوبهم وترقبوا حركته .

فلما رأوه يحزم أمتعته ليخرج من بين ظهرانيهم أدركوا أن الأمر جد ولا هزل فيه ، فتابوا على الفور وأنابوا ولبسوا المسوح وتطهروا ، وردوا المظالم ، وتركوا المحرمات فقبل الله توبتهم ، وكشف عنهم العذاب ، ويسر لهم أسباب الخير والسعادة ، والرخاء ، وكان رجوعهم إلى الله خيراً وبركة وأخصهم الله بالثناء دون غيرهم من أهل القرى الأخرى(١) .

جاء ذلك في قوله تعالى : (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)(٢) .

ولم تكن هذه التوبة لتأتي باليسر والسهولة ، وإنما كانت بعد كفاح ونضال وجدال من سيدنا يونس عليه السلام مع قومه ، وقد أمتحنه الله أثناء هذه الفترة ، فزج به في غيابة سجن رهيب كان هو الأول والأخير من نوعه . إذ لم يسبقه إليه أحد ، ولن يدخل فيه من بعده أحد ، فهو بطن الحوت ، ولذا سماه الله في كتابه (صاحب الحوت) و(ذا النون) وهو الحوت .

---

(١) تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية - محمد الطيب النجار ، ط١ ، ت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص٢٥٣

(٢) سورة يونس الآية ٩٨

ويذكر الرواة أن يونس حينما دعا قومه إلى الحق ولم يستجيبوا خرج مغاضباً - أي غاضباً من قومه من أجل ربه - وفر من هذا العنف الذي يلاحقه منهم ، وهو يظن أن لن يقدر الله عليه ، أي أن الله لا يضيق عليه بمعاقبته من أجل ترك قومه دون أن يأذن الله بذلك([1]) .

وذكر يونس عليه السلام في قوله تعالى : (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ .. إلى قوله وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)([2]) .

بينت هذه الآيات أن يونس كان مرسلاً من عند الله إلى قومه ولكنه لم يستطع الصبر عليهم لذلك سمي آبق([3]) . وقد جاء يونس إلى الفلك المشحون وأجريت القرعة لتخفيف المركب فوقعت على يونس عليه السلام ، فألقي في البحر، وكل هذا بتدبير الحق عز وجل وعنايته التي لا تخفى عليها خافية ، وإذا تدبرنا فيما حدث لسيدنا يونس عليه السلام من إلغائه في البحر ونجاته بابتلاع الحوت له ، نجد أن الله سبحانه وتعالى قد ابتلى كثيراً من رسله وأنبيائه وقومهم بالبحر ، حين جاء في قصة طالوت مع قومه بالنهر حيث أمروا أن لا يشربوا منه إلا غرفة فكان هذا امتحان لهم للتأكد من صبرهم على العطش بالرغم من وجود الماء طاعة لأمر الله عز وجل ، ولما خالفوه كان خروجاً لهم من دينهم . وكذلك في قصة سيدنا موسى عليه السلام ومنذ ولادته أوحى إلى أمه أن تلقيه في البحر إلى أن نجاه الله من فرعون وجنوده ثم بعدما أرسل إلى قومه وأمر بالسير والإسراء فعرض له البحر كذلك أمر بضربه بعصاه فانكشف وسار موسى عليه السلام وقومه واغرق فرعون . وفي هذه إشارة إلى أن البحر آية من آيات الله يجري بها المعجزات لرسله وعلى أيديهم حتى يكون في ذلك عبرة لمن أراد أن يتذكر ويتعظ والله أعلم بمراده([4]) .

([1]) تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية – د. محمد الطيب النجار – ج٢ ص٢٥٧ .(مرجع سابق)

([2]) سورة الصافات الآية (١٣٩-١٤٨) .

([3]) الإباق : هربه من قومه بغير إذن ربه .

([4]) مع الأنبياء في القرآن الكريم – عفيف عبدالفتاح طبارة ، ط٥ ، ت ديسمبر ١٩٨٥م ، ص٣٠٧

لما ترك يونس قومه أيقن هؤلاء نزول العذاب بهم وظهرت مقدماته ، فقذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة فندموا على ما كان منهم ، وبكوا على ما كان منهم وردوا المظالم إلى أهلها ، وكانت ساعة عظيمة هائلة فكشف الله برحمته ورأفته العذاب عنهم ، كما جاء في قوله (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) يعني لو أن كل قرية من القرى تؤمن لنفعها إيمانها لكنها لم تؤمن إلا قوم يونس فإنهم لما آمنوا كشف الله عنهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا ومتعهم بمتاع الحياة إلى نهاية أعمارهم([1]) .

فكان من تقرير الله سبحانه وتعالى أن يلقي يونس في البحر فيلتقمه الحوت، امتحان عسير من تدبير حكيم خبير ! ولما وجد يونس نفسه في هذه الظلمات الثلاث اسرع مستغيثاً ربه ، لأنه أدرك أن لا ملجأ منه إلا إليه (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ)([2]) فتأتيه الإجابة من عند السميع العليم منادياً في الحوت أيا حوت أعلم إننا لم نجعل يونس رزقاً وغذاء وإنما جعلنا بطنك له حرزاً أو مسجداً ، فيا سبحان الله !! حتى بطن الحوت مسجداً لتسبيح الله ليكون سبباً في نجاته مما هو فيه ، ففي هذا تذكر لعدم الغفلة عن الذكر لمن أراد أن يفرج كربه ، فاتجه يونس إلى التسبيح والذكر أربعين يوماً ، فقذفه الحوت إلى الصحراء ليؤدي رسالته التي أمر بها فيا له من تمحيص وتدقيق فيمن يريد الله إرساله برسالته إلى عباده ، حتى يكون على قدر من الصبر والتحمل على ما يصيبه من تعذيب وأذى من قومه([3]) .

([1]) مع الأنبياء في القرآن الكريم – عفيف عبد الفتاح طبارة – ط٥٤ – ت ديسمبر ١٩٨٥م ص٣٠٧

([2]) سورة الأنبياء الآية ٨٧

([3]) تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن والسنة – د. محمد الطيب النجار – ص٢٥٧-٢٦٥ .

المطلب الثاني

دعوة يونس لقومه

في نينوى وتحت ظلال الأصنام وبين ظلام الجهل والشرك أشعل يونس عليه السلام قبس الإيمان ، وأهاب بقومه الجاهلين أن أربؤا بعقولكم عن عبادة الأصنام وكرموا جباهكم بأن لا تسجد لهذه الأوثان ، وامضوا النظر فيما حولكم وما يحيط بكم ، فتجدوا من وراء هذا الكون البديع إلهاً كبيراً أرسلني هداية لكم ورحمة بكم لأرشدكم إليه ، إذ أن الجهل قد ران على قلوبكم فلم تتبصر ، وغشى بصائركم فلم تتدبر ، فدهش قومه لذلك وتعجبوا بأن يرسل إليهم بشراً منهم ، فقالوا ما هذا القول الذي تهزأ به والبهتان الذي تدعو إليه ؟ فقال لهم يا قوم ارفعوا عن أعينكم غشاوة التقليد وعن عقولكم نسيج الأوهام ، أهذه الأوثان التي تتوجهون إليها في صباحكم ومساءكم تجلب لكم نفعاً أو تدفع عنكم شر ؟ ثم مالكم تعرضون عن هذا الدين الذي ادعوكم إليه ؟ وهو يدعوكم إلى الاستقامة ويأمركم بالمعروف وينهى عن المنكر ، والعطف على المسكين وإطعام الجائع وفك العاني ، وما فيه صلاح الحال واستقامة الأعمال(١) .

فماذا كان ردهم ؟ قالوا : يا يونس ما نحن بمستجيبين لدعوتك ولا خائفين من وعيدك بما تعدنا إن كنت من الصادقين إنه رد متكرر عند كل الأمم ، عندها لم يطق يونس عليه السلام صبراً على قومه وضاق بهم ذرعاً وقطع الرجاء منهم ، فرحل عنهم مغاضباً لهم ، ولم يكد يونس يبعد قليلاً عن نينوى حتى وافت أهلها نذر العذاب وأغبر الجو حولهم وشوهت وجوههم وعلموا أن دعوة يونس حق ، فوقع في نفوسهم أن يلجأوا إلى إله يونس فيؤمنوا ويستغفروا ، فخرجوا إلى رؤوس الجبال باكين متضرعين ، وفرقوا بين الأمهات وأطفالها ، وتقبل الله توبتهم لأنهم كانوا مخلصين فيها مؤمنين ، وودوا لو يعود لهم يونس رسولاً نبياً ومعلماً

---

(١) قصص القرآن – محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي – السيد شحاتة – ص٢٣٤ .

وإماماً ، وعاد يونس بعد امتحانه الذي ذكرناه آنفاً ، وراعه أنه خلّفهم وليس فيهم إلا من هو عاكف على الأصنام ، وعاد إليهم وما فيهم إلا الألسنة تلهج بذكر الله ، فياله من تحول عجب !! إنه الإيمان عندما يخالط القلوب . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ ..)([1]) قال : لم تكن قرية آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل بها بأس الله إلا قرية يونس([2]) .

ومن هذه القصة ندرك حقيقتين أولاً : الإهابة بالمكذبين أن يتعلقوا بخيوط النجاة الأخيرة فلعلهم ناجون كما نجا قوم يونس ، وهذا هو الغرض من سياق هذه القصص في كتابه الكريم مع إنها وقعت منذ آلاف السنين ولكنها تذكرة لمن أراد أن يتذكر . سنة الله التي لم تتعطل ولم تقف بكشف العذاب ، ولكنها لما عدلوا قبل مجيئه جرت السنة بإنجائهم نتيجة لهذا العدول ، فلا جبرية إذن في تصرفات الناس ولكنها في ترتيب آثارها عليها([3]) .

ثانيا : ونستفيد من هذه القصة على أن الإنسان يبقى ضعيف التحمل لولا عون الله، وعصمة الأنبياء مما لا يليق بهم كالشرك وغيره وما حصل ليونس لا ينافي عصمته ، وتوضح قصة ذهابه إلى الفلك وابتلاع الحوت ، وكيف كان التسبيح سبب في خلاصه ، ونبذه بالعراء وهو سقيم وانبات الشجرة عليه ثم إرساله بعد ذلك إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا به واتبعوه([4]) .

([1]) سورة يونس الآية ٩٨

([2]) في ظلال القرآن – سيد قطب ج٣ ص١٨٢١ .

([3]) القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته – د. فضل حسن عباس – ط١ ت ١٤٠٧-١٩٨٧م ، ص٣٤٩

([4]) الدر المنثور في التفسير بالمأثور – السيوطي ج٤ ص٣٥٠-٣٥١ .

المبحث الثاني

قرية سبأ وأسباب نجاتها

المبحث الثاني
قرية سبأ وأسباب نجاتها

سبأ : قرأ الجمهور (سبأ) بالصرف ، وابن كثير وأبو عمرو (سبأ) بفتح الهمزة ، وترك الصرف ، فالأول على أنه اسم رجل نسب إليه قوم ، والثاني على إنه اسم قبيلة([1])

قال تعالى في سورة النمل : (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)([2]) يعني تعالى بقوله (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ) فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد حتى جاء الهدهد . واختلف القراء في قراءة قوله (فمكث) فقرأ ذلك عامة قرأ الأمصار سوى عاصم ، وقرأ الجمهور على ضم الكاف ، وعاصم بفتحها ، ومعناه في القراءتين : أقام . وجاء في مقال : (أحطت بما لم تحط به) أي علمت ما لم تعلم من الأمر وقال (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) أعلم سليمان ما لم يكن يعلمه ، ودفع عن نفسه ما توعده من العذاب والذبح([3]) .

وجاء في قوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ..)([4]) قال المفسرون : المراد بسبأ هاهنا : القبيلة التي هم من أولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

كان لهم سدّ يحبس الماء بين الجبلين ، وكانت لهم جنتان عن يمين واديهم وعن شماله فأخصبت أرضهم وكثرت فواكههم وقيل لهم : (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ) أي : هذه بلدة طيبة ولا فيها ما يؤذي (وَرَبٌّ غَفُورٌ) أي : والله غفور ، وكانت ثلاث عشرة قرية([5]) .

([1]) من شواهد الفراء في معاني القرآن ١ : ١٧٢ ، استشهد به عن قوله تعالى : (تتفيأ ظلاله عن اليمين)

([2]) سورة النمل الآية ٢٢

([3]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – للطبري ج١٢/ ص٧٦ .

([4]) سورة سبأ الآية ١٥

([5]) زاد المسير في علم التفسير – للبغدادي ج٦ ص٢٢٩ .

وبعد أن أمروا بشكر الله والاستغفار ليغفر لهم لم يستجيبوا له بل قال تعالى حاكياً حالهم : (فأعرضوا) عن شكره وكفروا (فأرسلنا عليهم سيل العرم) جمع عرمه ، وهو ما يمسك الماء إلى وقت الحاجة إليه ، أي سال واديهم فأغرق جنتيهم وأموالهم . فماذا كان بعد هذه النعمة ؟ قال تعالى : (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) مر بشع ، وقيل : شجر له شوك وكذلك أبدلهم ربهم : (وأثل وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا) أي : كان هذا التبديل جزاء لكفرهم بالله ونعمه عليهم (وهل نجازي إلا الكفور) أي : وهل يكون منا مثل هذا الجزاء إلا للكفار ، وما يناقش إلا هو ، وكذلك (وجعلنا بينهم) بين سبأ وهم باليمن (وبين القرى التي باركنا فيها) بالماء والشجر وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة (قرى ظاهره) متواصلة من اليمن إلى الشام (وقدرنا فيها السير) أي يواصلون فيها بحيث يبيتون في واحدة ويقيلون في واحدة ولا يحتاجون لحمل زاد ولا ماء في أسفارهم . وقال لهم (سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين) أي لا تخافون بليل أو نهار ، فماذا كان ردهم على هذه النعمة أيضاً (فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا) لما بطروا وكرهوا الراحة ، قالوا اجعل في أسفارنا مفاوز - الموضع المهلك - ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد (فظلموا أنفسهم) بالكفر (فجعلناهم أحاديث) لمن بعدهم (ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم في البلاد كل التفريق (إن في ذلك لآيات لكل جبار شكور) أي في هذا التفريق الذي حدث لهم عبرة لكل صابر عن المعاصي شاكر على نعمه . من أي شئ كان هذا الذي حصل لهم ؟ أنه من تزيين إبليس لهم المعاصي واتباعهم له حيث قال تعالى : (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه)([1]).

بعد أن ذكرنا حال أهل سبأ ببلدهم ، نأتي إلى قصتهم مع سليمان عليه السلام ، حيث جاءه الهدهد بخبرهم قائلاً : (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم) قال الإمام البخاري : قال ابن عباس (ولها عرش عظيم) سرير كريم حسن الصنعة وغلاء الثمن([2]) . وعن ابن عباس في قوله (ولها عرش عظيم) قال : سرير كريم . وقال : حسن الصنعة وعرشها سرير من

([1]) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين - للسيوطي - المجلد الثالث - ص٦٠٨-٦٠٩ .

([2]) صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة النحل ، ج٥ ، ص٢٠٤،بدون ط ولا ت

ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ ، يعني أن المراد بعظمته كونه حسن الصنعة غالي الثمن لا عظم الحجم والاتساع([1]) .

وجاء في قوله هذا أيضاً (إني وجدت امرأة تملكهم) قال الهدهد : (جئتك من سبأ بنبأ يقين) قال سليمان : وما ذاك الخبر ؟ قال : (إني وجدت امرأة) يعني بلقيس بن شراحبيل تملك سبأ ويقال : كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين بلدها قريبة ، وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب ؟ والجواب : أن الله تعالى أخفى ذلك عنه لمصلحة ، كما أخفى على يعقوب مكان يوسف عليه السلام ، روى البخاري من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا بنت كسرى قال : (لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة)([2]).

وقال تعالى حاكياً عنهم : (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ) أي فهم مجوس (فصدهم عن السبيل) طريق الحق (فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ)([3]) أي أن يسجدوا (أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ) مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات (فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ) في قلوبهم (وَمَا تُعْلِنُونَ) بألسنتهم (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس ، وبينهما بون عظيم (قال) سليمان للهدهد (سننظر أصدقت) فيما أخبرتنا به (أم كنت من الكاذبين أي من هذا النوع ، فهو أبلغ من أم كذبت فيه ، ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤا وصلوا ، ثم كتب سليمان كتاباً صورته : من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ ، بسم الله الرحمن الرحيم ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فلا تعلوا علي وائتوني مسلمين ، ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد : (اذْهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ)([4])([5]) .

([1])تفسير ابن عباس – ومروياته في التفسير من الكتب الستة – للدكتور عبد العزيز عبد الله الحميدي – الجزء الثاني ص٦٩٥

([2]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – للطبري – المجلد ١١ ص١٤٨ .

([3]) الآيات من سورة النمل من (٢٤-٢٨)

([4])الآيات من سورة النمل من (٢٤-٢٨)

([5]) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين – المجلد الثالث – العلامة الشيخ أحمد الصاوي المالكي .

قالت بعدما ألقي إليها كتاب سليمان : (قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ)([1]) تقدير هذا الكلام أنها بعد القراءة جمعت أهل ملكها أشراف قومها الذين ينوبون مناب الجميع ، ووصفت الكتاب بالكرم ، أما لأنه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم ، فعظمته إجلالاً لسليمان وأما لأنه مطبوع عليه بالخاتم . وقال صلى الله عليه وسلم : (كل كلام لم يبدأ باسم الله تعالى فهو أجزم)([2]) وقال تعالى حاكياً لما في الخطاب (أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) بمعنى لا تعلوا علي ، ثم أخذت في حسن الأدب مع رجالها ، ومشاورتهم في أمرها في هذه النازلة الكبرى ؟ فراجعها الملأ بما يقر عليها مبدأين لها القوة والبأس ، وإرجاع الأمر إليها في الاختيار بين القتال وعدمه ، فقالت رداً عليهم : (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) إخباراً لهم بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها ، وفيه خوفاً على قومها ، واستعطاف لأمر سليمان (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)([3]) أرادت أن تجرب عليه بالهدية فإن كان ملكاً دنيوياً أرضاه المال ، فعملنا له بحسب ذلك ، وإن كان نبياً لم يرضه المال ولازمنا في أمر الدين فينبغي أن نؤمن به ونتبعه على دينه .

فبعثت إليه بهدية عظيمة أكثر بعض الناس في تفصيلها ، والمجال هنا لا يتسع لذلك ، فلما جاءوا لسليمان قال : (أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) ثم توعدهم بالجنود والغلبة والإخراج إذا لم يسلموا قائلاً : (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) معناه لا طاقة ولا مقاومة لهم عليها([4]) .

فرجع إليها رسولها فأخبرها بما رأى عند سليمان وما سمع منه فقالت : قد عرفت أنه ليس بملك ولا طاقة لنا بقتال نبي من أنبياء الله ، ثم أمرت بعرشها

([1]) الآيات من سورة النمل من (٢٩-٣٥) .

([2]) شرح النووي على صحيح مسلم ، ج١٢ ، ص١٠٨ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ .

([3])الآيات من سورة النمل من (٢٩-٣٥) .

([4]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي الجزء الحادي عشر ص٢٠٤-٢٠٦

وجعلت الحرس عليه ، وتوجهت إليه في أثنى عشر ألف من ملوك اليمن . وقال ابن عباس : كان سليمان ملبياً لا يبتدأ بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه ، فنظر ذات يوم غباراً قريباً منه فقال ما هذا ؟ فقالوا : بلقيس يا نبي الله ، فقال لجنوده (أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) وقال أبو زيد : استدعاها ليريها القدرة التي هي من عند الله ويجعله دليلاً على نبوته لأخذ من بيوتها دون جيش ولا حرب . (ومسلمين) مستسلمين . هذا قول ابن عباس وقال أبو زيد : أراد أن يختبر عقلها ولهذا قال (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي) وقال خافت الجن أن يتزوج بها سليمان فيولد له منها ولد فلا يزالون في الخدمة لنسل سليمان ، فقالوا لسليمان في عقلها خلل ، فأراد أن يمتحنها في عرشها([1]) .

أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنْ الْجِنِّ) قال : مارد (قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ)([2]) قال : من مقعدك . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي صالح في قوله (قال عفريت) قال : عظيم كأنه جبل .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن شعيب الجبالي قال : كان اسم العفريت كوزن ، وقوله (وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) أي على حمله وأمين على ما استودع فيه . وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد في قوله (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) قال : أني أريد أعجل من هذا (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)([3]) قال : فخرج العرش من نفق الأرض([4]) .

وجاء في قوله : (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قيل : هو جبريل ، وقيل : الخضر ، وغير ذلك بما لا أصل له . والمراد بالطرف تحريك الأجفان ، وارتداده انضمامها . وفي قوله (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) قيل : فأذن له سليمان ،

([1]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - الطبري - ج١١ ص١٦١ .

([2]) سورة النمل الآية ٣٩

([3]) سورة النمل الآية ٤٠

([4]) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - المجلد السادس - السيوطي ص٣٥٩ .

وارتداده انضمامها . وفي قوله (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) قيل : فأذن له سليمان ، فدعا الله فأتى به فلما رآه سليمان مستقراً عنده أي : رأى العرش حاضراً لديه (قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ) أي إشارة إلى حضور العرش ، أي ليختبرني أشكره بذلك ، واعترف أنه من فضله من غير حول مني ولا قوة ، أم أكفر بترك الشكر وعدم القيام به . (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) ؛ لأنه استحق بالشكر تمام النعمة ودوامها ، المعنى : أنه لا يرجع نفع ذلك إلا إلى الشاكر (ومن كفر) بترك الشكر (فإن ربي غني) عن شكره (كريم) في ترك المعاجلة بالعقوبة بنزع نعمه عنه ، وسلبه ما أعطاه منها دام في (أم أكفر) . قال تعالى : (نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا)([1]) يقول : غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته . وقيل : غير زيادة ونقصان . قال الفراء وغيره : إنما أمر بتنكيره لأن الشياطين قالوا له : أن في علقها شيئاً ، فأراد أن يمتحنها . (نَنظُرْ أَتَهْتَدِي) إلى معرفته أو إلى الإيمان بالله (أَمْ تَكُونُ مِنْ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ) إلى ذلك (فلما جاءت) أي بلقيس إلى سليمان (قيل) لها (أَهَكَذَا عَرْشُكِ) لم يقل : هذا عرشك لئلا يكون ذلك تلقيناً لها فلا يتم الاختبار لعقلها . (قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) قال مجاهد : جعلت تعرف وتنكر وتعجب من حضوره عند سليمان ، فقالت : كأنه هو ، وقال مقاتل : عرفته ولكنه شبهت عليهم كما شبهوا عليها ، ولو قيل لها : أهذا عرشك لقالت : نعم . وقال عكرمة : كانت حكيمة ، قالت : إن قلت : هو هو خشيت أن أكذب ، وإن قلت لا خشيت أن أكذب ، فقالت : كأنه هو ، وقيل أراد سليمان أن يظهر لها أن الجن مسخرون له . (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ) قيل : هو من كلام بلقيس : أي أوتينا العلم بصحة نبوة سليمان من قبل هذه الآية في العرش (وكنا مسلمين) منقادين لأمره . وقيل : هو من قول سليمان أي : أوتينا العلم بقدرة الله من قبل بلقيس ، وقيل : أوتينا العلم بإسلامها ، ومجئها طائعة من قبلها أي : من مجيئها ، وقيل : هو من كلام قوم سليمان . والقول الثاني أرجح(٢) .

([1]) سورة النمل الآية ٤١

([2]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – محمد بن علي بن محمد الشوكاني – الجزء الرابع – ص١٧٦-١٧٧.

وجاء في قوله تعالى : (وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ)([1]) والمعنى : منعها من تعبد الله ما كانت تعبد من الشمس والقمر ، وعند النحاس : أي صدها عبادتها من دون الله وعبادتها إياها عن أن تعلم ما علمناه (عن أن تسلم) (إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ) (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ) قال أبو العباس : كان الصرح صحناً من زجاج تحته ماء وفيه حيتان عمله ليريها ملكاً أعظم من ملكها . وقال قتادة : كان من قوارير خلفه ماء (حَسِبَتْهُ لُجَّةً) أي : ماء ، (إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ)([2]) والممرد المحكوك المملس ومنه الأمرد . قال الفراء : فلما رأى سليمان عليه السلام قدميها قال لناصحه من الشياطين : كيف لي أن أقلع هذا الشعر من غير مضرة بالجسد ؟ فدله على عمل النوره ، فكانت النوره والحمامات من يومئذ .

وفي بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كانت بلقيس من أحسن نساء العالمين ساقين وهي من أزواج سليمان عليه السلام في الجنة) فقالت عائشة : هي أحسن ساقين مني ؟ فقال عليه السلام : (أنت أحسن ساقين منها في الجنة)([3]) . (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) أي بالشرك الذي كانت عليه ، وقال سفيان : أي بالظن الذي ظننت به سليمان عندما رأت الصرح وحسبته لجة . (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وجاء أيضاً في قوله تعالى : (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً..) كان سليمان عليه السلام قد أعد للملكة مفاجأة أخرى لم يكشف السياق عنها بعد ، كما كشف عن المفاجأة الأولى قبل ذكر حضورها .

وهذه طريقة أخرى في الأداء القرآني في القصة غير الطريقة الأولى قيل لها : ادخلي الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ! قال : إنه صرح ممرد من قوارير (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) لقد كانت المفاجأة قصراً من البلور ، أقيمت أرضيته فوق الماء ، وظهر

([1]) سورة النمل الآيات (٤٣-٤٤)

([2])سورة النمل الآيات (٤٣-٤٤)

([3]) أخرجه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ، ج١٣ ، ص٢١٠

كأنه لجة ، فلما قيل لها : ادخلي الصرح حسبت أنها ستخوض تلك اللجة فكشفت عن ساقيها ، فلما تمت المفاجأة كشف سليمان عن سرها ، قال (إنه صرح ممرد من قوارير) ووقفت الملكة م---مدهوشة أمام هذه العجائب التي تعجز البشر وتدل على أن سليمان مسخر له قوى أكبر من طاقة البشر ، فرجعت إلى الله ، فناجته واعترفت بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادة غيره معلنة إسلامها (مع سليمان) لا لسليمان ولكن (لله رب العالمين) . لقد اهتدى قلبها واستنار فعرفت أن الإسلام ليس استسلاماً ، إنما الإسلام لله رب العالمين ومصاحبة للمؤمنين به والداعين إلى طريقه على سنة المساواة .

وسجل السباق القرآني هذه اللفتة وأبرزها للكشف عن طبيعة الإيمان بالله ، والإسلام له ، فهي العزة التي ترفع المغلوبين إلى صنف الغالبين ، وهما إخوان في الله .. رب العالمين .. على قدر المساواة .

وقد كان كبراء قريش يستعصون على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم إلى الإسلام ، وفي نفوسهم الكبر أن ينقادوا إلى محمد بن عبد الله ، فتكون له الرئاسة عليهم والاستعلاء ، فها هي ذي امرأة في التاريخ تعلمهم أن الإسلام لله يسوي بن الداعي والمدعويين . بين القائد والتابعين ، فإنما يسلمون مع رسول الله لله رب العالمين([1]) .

قال الإمام البخاري : قال ابن عباس : (ولها عرش عظيم) سرير كريم حسن الصنعة وغلاء الثمن ، وأخرجه ابن جرير من طريق عطاء الخرساني عن ابن عباس في قوله (ولها عرش عظيم) قال سرير كريم وقال : حسن الصنعة غالي الثمن لا كون عظيم الحجم والاتساع([2]) .

المتفكر في هذه القصة لملكة سبأ يجد أنها كانت تعيش في رغد من النعم تملك الحشم والخدم ، وكل مسخر قوته لخدمتها وهي تسير زمام الأمور ، ومع ذلك كانت تطبق نظام الشورى معهم في كل ما تريد فعله ، جاء ذلك في قولها

([1]) في ظلال القرآن - سيد قطب - المجلد الخامس - طبعة جديدة مشروعة - ص٢٦٤٢-٢٦٤٣

([2]) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من الكتب الستة - د. عبد العزيز عبد الله الحميدي الجزء الثاني - ص٦٩٦-٦٩٧

(قَالَتْ يَاأَيُّهَا الملأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ)([1]) دليل على أن الشورى أمر مهم جداً في ملكها ، وجاء الإسلام ودعا إلى ذلك وجعله من القواعد في الحكم حيث قال (وأمرهم شورى بينهم)([2]) وأمر رسوله بها في قوله (وشاورهم في الأمر)([3]) ونجد فيها أيضاً الذكاء الخارق الذي تتمتع به هذه الملكة حيث أرادت أن تتأكد من نبوة سيدنا سليمان عليه السلام حيث أرسلت إليه بالهدية ، وعلمها بأن الأنبياء لا يقبلون الهدايا وهذا أيضاً أقره الإسلام ، وبعد كل هذا الملك وهذا الذكاء والخبرة ، تأتي الملكة مختارة منقادة ملبية دعوة سليمان ، لأن الأمر بالنسبة لها أصبح أمر عقيدة واستسلام لأمر الله مؤكدة ذلك بقولها (إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)([4]) أرجعت إسلامها لله ولم تقل لسليمان ، لأنها أصبحت متيقنة أن الأمر بهذه العظمة لم يكن لبشر ، وإنما لقوة أعظم وأكبر من كل مخلوق ، وكان هذا سبباً في نجاتها وقومها من أن ينزل بهم العذاب كما نزل بالذين من قبلهم حيث طغوا وتجبروا على رسلهم (والله يهدي من يشأ إلى صراط مستقيم)([5])([6]) .

([1]) سورة النمل الآية ٣٢

([2]) سورة الشورى الآية ٣٨

([3]) سورة آل عمران ، آية ١٥٩

([4]) سورة النمل الآية ٤٤

([5]) سورة البقرة ، الآية ٢١٣

([6]) جامع البيان في تأويل القرآن – للطبري ج٣ ص

المبحـــث الثالث

أم القـــــرى

المطلب الأول: مكة المكرمة

المطلب الثاني: موقف أهل مكة من النبي ﷺ

المطلب الأول
مكة المكرمة

بكة : مكة ، سميت بذلك لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا الحدوا فيها بظلم . وقيل : لأن الناس يتباكون فيها من كل وجه أي يتراجون ، وقال يعقوب : بكة ما بين جبل مكة لأن الناس يبك بعضهم بعضاً في الطواف أي يزحم .

وقيل سميت بكة لأن الناس يبك بعضهم بعضاً في الطواف أي يدفع . وقال الزجاج في قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ)([1]) قيل : إن بكة موضع البيت ، وسائر ما حوله مكة . وقيل : بكة اسم بطن مكة سميت بذلك لازدحام الناس . وفي حديث مجاهد : من أسماء مكة ، بكة . قيل : بكة موضع البيت ومكة سائر البلد . وقيل هما اسماً للبلد ، والباء والميم يتعاقبان . وبك الشئ نسخه ، ومنه أخذت بكة([2]) .

اشتقاق مكة من : تمككت العظم : أخرجت مخه ، وامتك الفصيل ما في ضرع أمه ، وعبر عن الاستقصاء بالتمكك . وروي أنه قال عليه الصلاة والسلام: (لا تمكوا على عرمائكم)([3]) ونسبتها بذلك لأنها كانت تمك من ظلم بها ، أي تدكه، قال الخليل : سميت بذلك لأنها وسط الأرض كالمخ الذي هو أصل ما في العظم([4]).

وفي قوله (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) إن بكة موضع البيت ، وسائر ما حوله مكة ، والإجماع أن بكة ومكة الموضع الذي يحج الناس إليه ، وهي البلد قال تعالى (ببطن مكة) وقال (الذي ببكة) .

وأما اشتقاقه في اللغة : فيصلح أن يكون الاسم اشتق من البك وهو بك الناس بعضهم في الطواف ، أي دفع بعضهم بعضا . وقيل : إنما سميت ببكة لأنها

([1]) سورة آل عمران ، الآية ٩٦

([2]) لسان العرب – لابن منظور – الجزء الأول – ص٣٣٦ .

([3]) عرمائكم : جهلائكم

([4]) مفردات ألفاظ القرآن الكريم – للراغب الأصفهاني – ص٧٧٢ .

تبك أعناق الجبابرة . وأما مكة بالميم فتصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة والميم تبدل من الباء . ويصلح أن يكون الاشتقاق من قولهم (امتك الفصيل) ما في ضرع الناقة إذا مص مصاً شديداً حتى لا يبقى فيه شيئاً فتكون سميت بذلك لشدة الازدحام فيها والقول الأول البدل أحسن([1]) .

قد حفظ الله مكة هذا البيت المحرم منذ القدم قبل الإسلام ، عندما جاء جيش أبرهة الحبشي يريد أن يهدم البيت حتى يغيّر اتجاه الناس في الحج ، فبنى كنيسة ضخمة شديدة الارتفاع سميت القليس ، ليحج العرب إليها بدلاً من الكعبة ، فكره العرب هذا وغضبوا غضباً شديداً ، فسار إليها أبرهة بجيش عظيم وصحب معه فيل ضخم أرسله إليه النجاشي لذلك . فعندما وصل بالقرب من مكة أرسل إلى عبد المطلب يبلغه خبره . فيقول له عبد المطلب قولته المشهورة : أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة : لترجمانه قل له ، لقد كنت اعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ، اتكلمني في مائة بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ فقال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل وأن للبيت رباً سيمنعه .

فعبأ أبرهة جيشه وهيأ فيله لدخلوها فوجههوه إليها فأقبل نفيل بن حبيب فأخذ بإذن الفيل قائلاً أبرك محمود (الفيل) وارجع راشداً من حيث أتيت فإنك في بلد الله الحرام . فبرك الفيل فأبى التوجه إلى الكعبة وعندما وجه إلى اليمن سار مسرعاً . فأرسل الله عليهم طيراً كالخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار لا يصيب منهم أحد إلا هلك . وجاء ذلك في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ .. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)([2]) .

اختار سبحانه وتعالى من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها وهي البلد الحرام اختاره لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعله مناسك لعباده وأوجب عليهم الإتيان إليه من كل فج عميق ، متجردين عن لباس أهل الدنيا ، وجعله آمناً لا يسفك فيه دم ولا يقطع شجره ولا ينفر صيده ولا يختلى خلاه . وقصده مكفراً للذنوب كما جاء

([1]) معاني القرآن وإعرابه – للزجاج – شرح د. عبد الجليل عبده شلبي – الجزء الأول – ص٤٥٤ .

([2]) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – المجلد السادس – ص٤٩٢ .

في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)([1]) وجزاء قاصده الجنة كما في الحديث : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة)([2]) .

واقسم به عز وجل في موضعين من كتابه حيث قال : وهذا البلد الأمين) (لا اقسم بهذا البلد) ولم يشرع تقبيل الحجر وموضع الأرض إلا بها واستلامه وتحط الخطايا به .

كان في الجاهلية جماعة تتضجر مما عليه قومهم من السفه وعبادة الأصنلم ويدفعهم إحساسهم الطاهر إلى نبذ العادات القبيحة التي يرونها في قومهم . ولكن لا يجدون من يرشدهم ويهديهم إلى الطريق المستقيم حتى قال أحدهم : يا قوم اعلموا والله ما قومكم على شئ ، لقد اخطاؤا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطوف به وهو لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ؟ التمسوا هداية لأنفسكم ديناً صحيحاً تسيرون على منهاجه . (٩)

وبينما الناس في حيرتهم هذه وضلالهم ، إذ يلج النور ويبلغ محمد صلى الله عليه وسلم الأربعين من عمره وجاءه الوحي بجميع صوره وحالاته ، وكان أول من آمن به زوجه خديجة رضي الله عنها ، ثم تبعه العديد من أصحابه الأجلاء وذاع صيته في أرجاء مكة كلها .

([1]) رواه البخاري ، ١٦٩٠ ومسلم ٢٤٠٤ .

([2]) رواه الترمذي ١٦٥٠ ومسلم ٢٤٠٣ .

(٩) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ ج ٤ ـ ص ٤٦٢

المطلب الثاني

موقف أهل مكة من النبي صلى الله عليه وسلم

واجه بعض الكبراء من قريش دعوته صلى الله عليه وسلم بالكفر والعداوة الشديدة ، وعذب الذين اتبعوه شر تعذيب أمثال بلال عندما عذّبه أمية بن خلف ، ولم يتزعزع من إيمانه ، وغيره كثير ، وقال بلال رداً عليه : أما إني عبدك وأسيرك وخادمك ومولاك ، فهذا ما لا أنكره عليك ، ولو أمرتني بقطع واد مسبع - تكثر فيه السباع - في جوف الليل لفعلت ، أو كلفتني حمل الأحجار في رمضاء الظهيرة لما شكوت ، أما عقلي وفكري وعقيدتي وإيماني فهذا الذي لا يقع تحت سلطانك ولا يدخل في حوزتك ، ولا إمكان، وما يضرك من إيماني وإسلامي ؟ وما يهمك في أن أملك عقلي وتفكيري ، ما دمت قائماً على خدمتك ، حافظ لعهدك، ولكن ما زاد هذا الكلام ذاك الكافر إلا غيظاً ، وزاد من وطأت عذابه عليه، حتى جاء أبو بكر واعتقه منه ، فهذا أمية وذاك ابا بكر !! مؤمن وكافر ، قد سجل الله عاقبتهما وفصل في أمرهما وصور لنا ذلك في قوله تعالى : (وانذرتكم ناراً تلظى .. ولسوف يرضى)([1]) .

حدثنا عبد الله بن معاذ ومحمد بن عبد الأعلى القيسي قالا : حدثنا المعتمد عن أبيه ، حدثني نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه - يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب ، بين أظهركم ؟ قال فقيل : نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته . أولأعفرن وجهه بالتراب ، قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وزعم ليطأ رقبته . قال : قال فما فجئهم - أي بغتهم - منه إلا وهو ينعكس على عقبيه . رجع يمشي إلى ورائه .. ويتقي بيديه . قال مالك فقال : إن بيني وبينه لخندق من نار وهولاً واجهته . فقال رسول الله صلى الله عليه

([1]) قصص القرآن – محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل ، علي محمد النجار – السيد شحاتة ص٣٧٦ .

وسلم: (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) فأنزل الله عز وجل - لا ندري في حديث أبي هريرة أو شئ بلغه - (كلاَ إن الإنسان ليطغى)([1]) .

وصور لنا القرآن الكريم أيضاً موقف أهل مكة منه صلى الله عليه وسلم بقوله : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُوراً)([2]) أي أهل مكة (وقالوا) عطف على أبى (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الأَرْضِ يَنْبُوعًا) عيناً ينبع منها الماء (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ) بستان (مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنهَارَ خِلالَهَا) وسطها (تَفْجِيرًا ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا)([3]) قطعاً (أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلا) مقابلة وعياناً فنراهما (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ) ذهب (أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ) تصعد بسلم (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) لو رقيت فيها (حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا) منها (كِتَابًا) فيه تصديقك (نَقْرَؤُه) (قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي) قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم متعجباً (هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولاً) كسائر الرسل ولم يكونوا يأتوا بآية إلا بإذن الله !!

انظر إلى هذه المعجزات التي طلبها كفار مكة منه صلى الله عليه وسلم حتى يؤمنوا به !! هذا على سبيل التعجيز له والتنكيل به ، فماذا كان الرد من عند العليم الخبير ؟ قال مخاطباً نبيه : (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) عالماً ببواطنهم وظواهرهم إنه لحق أمر عجب !! إذ كفاه الله الرد عليهم بهذه الكلمات ولم يأمره بقتالهم والتصدي لهم ، بل ترك الأمر له سبحانه وتعالى لأنه هو القادر على كل شئ([4]) .

الدعوة :

جاء في قوله تعالى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) ثنا أبو اليمان ، أنا شعيب ، عن الزهري ، أنا أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري أخبر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم

([1]) سورة العلق الآية ٦

([2]) سورة الإسراء الآية ٨٩

([3]) سورة الإسراء ، الآية ٩٢

([4]) مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير - ج ٤ - أحمد محمد البروة وآخرين .

وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول : (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله عز وجل ولولا أني أخرجت منك ما خرجت)([1])([2]) .

حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا زكريا بن عدي حدثنا عبيد الله بن عمر -عن عبد الملك ، أن عمير عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة قال : لما نزلت (وانذر عشيرتك الأقربين) جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فخص وعم فقال : (يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فأني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً ، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً ، يا معشر بني قصي أنقذوا أنفسكم من النار فأني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فأني لا أملك لك من الله ضراً ولا نفعاً ، إن لك رحماً سأبلها ببلالها - أي سأصلها بالإحسان) أنها حق حيث أعلمهم جميعاً بأنه لا ينفع ولا يضر إلا الله ، ولا يمنعهم قربهم منه صلى الله عليه وسلم بشئ ، حتى لا يتكلون عليه ويتركون أو يقصرون في عباداتهم . فأين نحن الآن من هذا ؟ وأيد ذلك بقوله تعالى : (قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)([3]) فإذا كان لا يملك لنفسه الضر والنفع إلا بأمر الله فكيف لغيره ؟([4]) .

وجاء في قوله (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)([5]) قال ابن كثير : وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك قرآناً واضحاً جلياً مبيناً بلسان العرب ، لتنذر أهل مكة (أم القرى) قال ابن كثير : سميت بذلك لأنها أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها (ومن حولها) أي من سائر البلاد شرقاً وغرباً إذ العالم كله حولها وهي قبلته - ولقد ثبت حديثاً أن

([1]) أخرجه النسائي وصححه رقم (٣٩٢٥) ، والنسائي في الكبرى رقم (٤٢٣٩) ، (٤٢٣٨) ، وابن ماجه رقم (٣١٠٨) والحاكم وصححه (٧٨٣ ، ٤٣١)

([2]) تفسير الجلالين - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - ص٣٧٦ .

([3]) سورة يونس الآية ٤٩

([4]) الجامع الصحيح لسنن الترمذي - الحديث رقم ٣١٩٨ - كتاب التفسير ص٣٣٩ . ط . ت

([5]) سورة الشورى ، الآية ٧

مكة تقع منتصف الكرة الأرضية - و(لتنذر يوم الجمع) أي يوم القيامة أو يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد([1]) .

وقال الفخر الرازي في تفسيره (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) يقتضي تشبيه وحي الله بالقرآن ، وليس هاهنا شئ سبق ذكره يمكن تشبيه وحي الله به إلا قوله (والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) يعني كما أوحينا إليك أنك لست حفيظاً عليهم ولست وكيلاً عليهم فكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتكون نذيراً لهم . وقوله (لتنذر أم القرى) أي لتنذر أهل أم القرى لأن البلد لا تعقل([2]) .

وكذلك جاء في قوله (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً) أي ومثل ذلك الإيحاء البديع المفهم أوحينا إليك قرآناً عربياً لا لبس فيه عليك ولا على قومك ، وقيل إشارة إلى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وإنما أنت نذير فحسب (لتنذر أم القرى) أي أهلها وهي مكة ومن (ومن حولها) من العرب (ولتنذر يوم الجمع أي يوم القيامة لأنه يجمع الخلائق . قال تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع) وقيل تجمع فيه الأرواح والأشباح ، وقيل الأعمال والعمال والأنذار (لا ريب فيه) اعتراض مقرر لما قبله (فريق في الجنة وفريق في السعير) أي بعد جمعهم في الموقف . فإنهم يجمعون فيه أولاً ثم يفرقون بعد الحساب([3]) .

أمر صلى الله عليه وسلم بإبلاغ دعوته للناس وترك أمر الناس لله قال تعالى : (يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)([4]) روي عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها : من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً مما أنزل الله عليه فقد كذب . وروى الحسن : أن الله تعالى لما بعث رسوله

([1]) الأساس في التفسير - سعيد حوي - المجلد التاسع ص٥٠٣٧ .

([2]) تفسير الفخر الراي - المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب - للإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر - المجلد الرابع عشر ص٢٧-٢٨ - الرازي هو : أبو العباس أحمد بن الحسين بن اسحق بن عطية الرازيشم المصري حدث عن عبدالغني وأبو محمد النحاس وآخرون ، ولد سنة ثمان وستين ومائتان وتوفى سنة سبع وخمسين وثلاث مائة في جمادى الآخرة .

([3])تفسير السعود -إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - للإمام أبي السعود محمد بن محمد الهادي - ج٧ - ص٢٢-٢٣

([4]) سورة المائدة الآية ٦٧ .

ضاق ذرعاً وعرف أن من الناس من يكذبه فنزلت هذه الآية . ومعنى قوله (إن لم تفعل فما بلغت رسالته) إن لم تبلغ الجميع وتركت بعضه فما بلغت شيئاً ، أي : جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك التبليغ . وقال له عز وجل (والله يعصمك من الناس) يحفظك ويمنعك من الناس ، فإن قيل : أليس قد شج رأسه وكسرت رباعيته وأوذي بضروب من الأذى ؟ قيل : معناها يعصمك من القتل وقيل : نزلت بعد ما حصل له هذا ، وقيل : الله يخصك بالعصمة من بين الناس لأن النبي معصوم([1]) .

وقال تعالى مخاطباً إياه وآمراً له قائلاً (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ)([2]) أي كما أرسلنا الأنبياء إلى الأمم أرسلناك إلى هذه الأمة ، لتقرأ عليهم الذي أوحينا إليك([3]) .

وأيضاً جاء في قوله تعالى : (وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)([4]) أي وهذا القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم مبارك كثير النفع والفائدة يصدق كتب الله المنزلة كالتوراة والإنجيل لتنذر به يا محمد أهل مكة ومن حولها وهم سائر أهل الأرض قاله ابن عباس ، والذين يصدقون بالحشر والنشر يؤمون بهذا الكتاب لما انطوى .. عليه من ذكر الوعد والوعيد والتبشير والتهديد ، ويؤدي الصلاة على الوجه الأكمل في أوقاتها ، قال الصاوي : خص الصلاة بالذكر لأنها أشرف العبادات([5]) .

وفي قوله : (واسأل القرية) وأم القرى أصل القرى وهي مكة وسميت بهذا الاسم إجلالاً لها لأن فيها البيت ومقام إبراهيم والعرب تسمي أصل الشئ أمة ،

([1]) معالم التنزيل – المجلد الثالث – للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ص٢٧٨ – .

([2]) سورة الرعد الآية ٣٠

([3]) تفسير البغوي – المجلد الرابع – ص٣١٨

([4]) سورة

([5]) صفوة التفاسير – المجلد الأول – محمد علي الصابوني – ص٤٠٥ .

وأهل المدر ، والإنذار التخويف ، فإن قيل فظاهر اللفظ يقتضي أن الله تعالى إنما أوحي إليه لينذر أهل مكة وأهل القرى المحيطة بمكة ، وهذا يقتضي أن يكون رسولاً إليهم فقط ، وأن لا يكون رسولاً إلى كل العالمين ، الجواب : أن التخصيص بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما سواه فهذه الآية تدل على كونه رسولاً إلى هؤلاء خاصة ، وقوله (وما أرسلناك إلا كافة للناس)([1]) يدل على كونه رسولاً إلى كل العالمين ، وأيضاً لما ثبت كونه رسولاً إلى أهل مكة وجب كونه صادقاً ، ثم إنه نقل إلينا بالتواتر كان يدعي إنه رسول إلى كل العالمين ، والصادق إذا أخبر عن شئ وجب تصديقه فثبت أنه رسول إلى كل العالمين([2]) .

وجاء في الحديث . حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيع عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يطعنها بمخصرة في يده وربما قال يعود ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد([3]) .

بعد أن جاء قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين)([4]) اقرأ أياه بعدم الشرك بالله وهو تشريع إلى أمته وليس مقصوداً به شخصه لأنه نبي ومعصوم من ذلك ، بعد هذا أمر صلى الله عليه وسلم بإبلاغ الدعوة والإنذار إلى قومه قائلاً : (وانذر عشيرتك الأقربين) هذا الأمر في هذه الآية الكريمة بإنذاره خصوص عشيرته الأقربين ، لا ينافي الأمر بالإنذار العام ، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية كقوله تعالى : (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)([5]) وقوله تعالى : (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ)([6]) وقوله

([1]) سورة سبأ ، الآية ٢٨

([2]) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب – محمد الرازي فخر الدين – المجلد الرابع عشر – ٢٧-٢٨ .

([3]) صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي المالكي – الجزء الحادي عشر ص١٩٧ .

([4]) سورة الشعراء الآية ٢١٣

([5]) سورة الفرقان ، الآية ١

([6]) سورة الأنعام ، الآة ١٩

تعالى : (وتنذر به قوماً لداً)([1]) وأمر صلى الله عليه وسلم باللين مع الذين يتبعونه ويؤمنون به وقال تعالى (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لأن الدعوة إلى الله لا تحتمل القسوة والشدة كما قال تعالى (لا إكراه في الدين) والمعنى العام : المؤمنين من عشيرتك وغيرهم ، أي انذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك ، وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره([2]) .

دعاهم صلى الله عليه وسلم إلى توحيد الله وأرسل رسله إلى جميع البلاد يدعو إلى الله . كما جاء في الحديث : عن عبد الله بن أبي الأسود حدثنا الفضل بن العلاء حدثنا إسماعيل بن أمية عن يحيى بن محمد بن عبد الله بن صيفي أنه سمع أبا معبد مولى ابن عباس يقول : سمعت ابن عباس يقول : لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له : (أنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس) . وكذلك الحديث : حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي حصين والأشعث بن سليم سمعا الأسود بن هلال عن معاذ بن جبل قال : قال النبي صلى الله عليه : (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد) قال : الله ورسوله أعلم ، قال : (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حقهم عليه ؟) قال : الله ورسوله أعلم ، قال : (أن لا يعذبهم)([3]) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان

([1]) سورة مريم ، الآية ٩٧

([2]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين محمد المختار الجنكي الشنقيطي – الجزء ٦ ص٣٨٥ ز

([3]) صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل البخاري – الجزء الثالث – ص٤٤٤ – كتاب التوحيد .

ولكن بالرغم مما لا قاه صلى الله عليه وسلم من قومه وموقفهم معه إلا أنه لم يستعجل عليهم ولم يفعل كما فعل بعض الأنبياء من دعائهم على قومهم بالعذاب، وإنما كان يقول : (عسى أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله) .

وجاء في الحديث حدثنا إسماعيل ، قال : حدثني مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أخبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة) هذا من حسن نظره ورحمته بأمته صلى الله عليه وسلم ، وعندما ذهب إلى الطائف وضربه سفهاءها حتى أدميت قدماه أتاه ملك الجبال فقال له : إن شئت أمرتني فأطبق عليهم الأخشبين . ولكنه يأبى ذلك([1]) .

كيف لا وهو الذي يقول فيه رب العزة جل جلاله : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)([2]) .

حدثنا محمد بن بشار حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال : سمعت النعمان بن راشد يحدث عن الزهري عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن خباب بن الأرت عن أبيه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فأطالها ، قالوا : يا رسول لاله صليت صلاة لم تكن تصليها ؟ قال : (أجل أنها صلاة رغبة ورهبة ، إني سألت الله فيها ثلاثاً فاعطاني اثنين ومنعني واحدة ، سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يذق بعضهم بأس بعض فمنعنيها)([3]) .

فكان هذا هو سبب نجاة الذين لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم حيث أنهم لم يعذبوا بهلاك في الدنيا ، وإنما يؤجل لهم العقاب إلى يوم القيامة ، وهذا من فضل الله عليهم له الحمد والمنة .

([1]) صحيح البخاري مع كشف المشكل - للإمام ابن الجوزي - ج١٤ - ط١ حديث رقم (٦٣٠٤) .

([2]) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

([3]) صحيح الترمذي - للإمام ابن العربي المالكي - ج٧ - باب سؤال النبي - ص٢١ - ابن العربي هو الإمام العلامة الأديب ذو الفنون ، أبو محمد عبدالله بن محمد بن العربي الأشبيلي صحب ابن حزم وأكثر عنه ، توفى بمصر من أول سنة ثلاث وتسعين وأربع مائة ، وكان مولده في سنة خمس وثلاثين وأربع مائة .

الفصل الثالث

نماذج من القرى الهالكة وأسباب هلاكها

المبحث الأول:قرى عاد وثمود وأسباب هلاكها

المبحث الثاني : قرى بني إسرائيل وأسباب هلاكها

المبحث الثالث : قرية لوط وأسباب هلاكها

المبحث الأول

قرى عاد وثمود وأسباب هلاكها

المطلب الأول : عاد قوم هود

المطلب الثاني : قوم ثمود

المطلب الأول

عاد قوم هود

هود هو هود بن شالخ بن ارتخشد بن سام بن نوح عليه السلام ويقال : إن هوداً هو عابر شالخ بن ارتخشد بن سام بن نوح . وقيل هو ابن عبد الله بن رباح ابن الخلود بن عاد بن عوض بن إرم بن نوح عليه السلام (ذكره ابن جرير) . وكان من قبيلة يقال لها عاد بن عوض بن سام بن نوح وكانوا عرباً يسكنون الأحقاف([1]) وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر ، وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام كما قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)([2]) . والمقصود هنا عاداً الأولى ، وكانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان وكانت أصنامهم ثلاثة وهي : صدا وصمود وهدا([3]) .

رسالة هود إلى قومه :

قال تعالى في محكم تنزيله : (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ)([4]) .

قدم في هذه الآية المجرور (عاد) على المفعول الأصلي ليأتي الإيجاز بالإضمار حيث أريد وصف هود بأنه من إخوة عاد ومن صميمهم . وعاد أمة عظيمة من العرب العاربة البائدة ، وأريد بعاد القبيلة ، وكان هو من بني عاد وأطلق عليه لفظ أخ ، لأن العرب تقول ذلك قصداً لعزوه ونسبته تمييزاً للناس . فدعا هود قومه قائلاً : (قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) بدأهم بالدعوة إلى التوحيد إذ هو أساس العبادات كلها . وقد شابهت دعوت هود قومه دعوة نوح

([1]) الأحقاف : جبال الرمل .

([2]) سورة الفجر الآية ٦-٧

([3]) قصص الأنبياء – لابن كثير ج١ ص ١١٩ .

([4]) سورة الأعراف الآية ٦٥

قومه في المهم من كلامها . لأنهم كلهم من عند الله والحكمة في الإرسال واحدة ، كما في الحديث .

وقال تعالى : (شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى)([1]) .

وقال لهم هود مستنكراً عدم إجابتهم دعوته ومستفهماً (أفلا تتقون) والمراد بالتقوى الحذر من عقاب الله تعالى على إشراكهم غيره في العبادة واعتقاد الألهية ، وبدأ ذلك إغلاظاً في الدعوة وتهويلاً لفظاعة الشرك([2]) .

فماذا كان رد قومه على هذه الدعوة المخلصة لهم وإيضاحه لهم بأنه مرسل من عند الله قائلاً لهم : (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)([3]) وبعد هذا الإيضاح أخذ ينكر عليهم كفرهم وعنادهم مذكراً لهم بتلك النعم واستمتاعهم بها قائلاً : (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ)([4]) قال الدالي عن ابن عباس أي : بكل شرف . وقال الضحاك ومقاتل والكلبي : بكل طريق . وعن مجاهد قال : هو الفج بين الجبلين . و(الآية) العلامة (تعبثون) بمن مر بالطريق : المعنى أنهم كانوا يبنون المواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخرون منهم ويعبثوا بهم ، وقيل أنكر عليهم بروج الحمام وهم كانوا يلعبون بالحمام . (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ)([5]) قال ابن عباس : أبنية . وقال مجاهد : قصوراً مشيدة (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) أي كأنكم تبقون فيها خالدين . أي أنهم كانوا يستوثقون المصانع كأنهم لا يموتون . (وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ)([6]) أي إذا أخذتم وسطوتم قتلاً بالسيف،وضرباً بالسوط والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب . بعد هذا التعداد رجع إلى تذكيرهم بتقوى الله والإنابة إليه فقال : (فَاتَّقُوا

([1])سورة الشورى الآية ١٣

([2]) التحرير والتنوير – للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ج٥ ص ٢٠١-٢٠٢ بدون ط ولا ت .

([3]) سورة الشعراء الآيات ١٢٥-١٢٧

([4]) سورة الشعراء الآية ١٢٨

([5])سورة الشعراء الآية ١٢٩

([6])سورة الشعراء الآية ١٣٠

اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)([1])([2]) .

وفي موضع آخر من حوار هود عليه السلام مع قومه داعياً إلى اتباع الحق والإيمان به وبعد قول طويل ردوا عليه قائلين حكى عنهم القرآن بقوله : (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ)([3]) أي في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) في ادعائك الرسالة . الناظر في هذا الرد من قوم هود يجد أنهم قوم في غاية الجهل والضلال . لأنهم يعكسون ما في أنفسهم ليرموا به نبي الله الذي يدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد . ونجد أن الله خاطب الكفار في سورة البقرة بأنهم سفهاء مرتين حيث جاء في قوله تعالى : (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا)([4]) وأيضاً قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ)([5]) .

فهؤلاء يتهمون رسولهم بالسفاهة وهو منزه عنها لأنه مرسل من عند الله مصطفاً مختاراً . فبماذا رد عليهم هود عليه السلام ؟ (قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)([6]) وهذا حال الأنبياء في الرد على سفاهات قومهم ، أدب حسن ، وخلق عظيم ، وإخبار الله عن ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء . وقال لهم هود عليه السلام مذكراً لهم ومنكراً عليهم قولهم هذا وإعراضهم عن الحق قائلاً : (أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ)([7]) وفي هذا دلالة على أن قوم عاد امتد سلطانهم إلى مناطق قوم نوح عليه السلام وقال مذكراً لهم نعم الله : (وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً)([8]) أي زاد طولكم على الناس

([1])سورة الشعراء الآية ١٣١

([2]) تفسير البغوي - معالم التنزيل - للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي - ج٦ ص ١٢٢ .

([3]) سورة الأعراف الآية ٦٦

([4]) سورة البقرة الآية ١٤٢

([5]) سورة البقرة الآية ١٣

([6]) سورة الأعراف الآيات ٦٧-٦٨

([7]) سورة الأعراف الآية ٦٩

([8]) سورة الأعراف الآية ٦٩

بسطة وجعلكم أطول من أبناء جنسكم (فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ) نعمه ومننه عليكم (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) بطاعة رسول الله([1]) .

بعد هذا الرد البليغ الشافي الداعي إلى الإيمان والتوحيد يستمر قوم هود في عنادهم وضلالهم لأن قلوبهم مغلقة لا تسمع دعوة الحق . فقالوا لرسولهم : (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ)([2]) فكان رده أيضاً شافياً على هذا البعد فقال لهم : (قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنْ الْمُنتَظِرِينَ)([3]) . المعروف أن عاد كانوا جفاة كافرين ، عتاة متمردين في عبادة الأصنام فأرسل الله فيهم رجلاً منهم يدعوهم إلى الله وإفراده بالعبادة فكذبوه وتنقصوه ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر . لأنهم عندما أمرهم بالطاعة والاستغفار قالوا أن هذا الأمر الذي تدعونا إليه سفه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة الأصنام التي يرجى منها النصر والرزق ، ومع هذا نظن أنك كاذب فيما تدعوننا إليه وأن الله أرسلك !! وبعد هذا كله كان في غاية الشفقة عليهم والحرص على هدايتهم ، لا يبتغي منهم أجراً ولا يطلب منهم جعلاً ، بل هو مخلص لله عز وجل ويبتغي الأجر منه سبحانه . ولكن من يضلل الله فلا هادي له . فبعد كل هذه الحجج والدعوة باللين والإرشاد يأتي ردهم (يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ)([4])([5]) .

وقال تعالى في قوم عاد : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ)([6]) فخوف أهل مكة بإهلاك من كان أشد منهم . وفي (إرم) أربعة أقوال :

الأول : إنه اسم بلدة . قال الفراء وقيل (إنها دمشق ، قاله سعيد بن المسيب وعكرمة وخالد الربعي) .

([1]) الأساس في التفسير – سعيد حوي – ج٤ ص ١٩٣٥ ط١ ت ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

([2]) سورة الأعراف الآية ٧٠

([3]) سورة الأعراف الآية ٧١

([4]) سورة هود الآية ٥٣

([5]) قصص الأنبياء – لابن كثير ج١ ص ١٢٠-١٢١ .

([6]) سورة الفجر الآية ٦

والقول الثاني : إنه اسم أمة من الأمم ، قاله مجاهد .

والقول الثالث : إنه قبيلة من قوم عاد ، قاله قتادة ومقاتل .

والقول الرابع : إنه اسم لجد عاد .

(إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ)([1]) سموا بذلك لأنهم كانوا أهل عمد وخيام يطلبون الكلا حيث كان ثم يرجعون إلى منازلهم فلا يقومون في موضع . رواه عطاء عن ابن عباس قال به مجاهد وقتادة والفراء . أما القول الثاني : فإنها ذات الطول ، وروي عن ابن عباس وقال به مقاتل وأبو عبيدة . والقول الثالث : ذات القوة والشدة ، قاله الصفار ، والرابع : ذات البناء المحكم بالعماد ، قاله ابن زيد . وقوله عز وجل (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ)([2]) فيه قولان : الأول : لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة . هذا معنى قول الحسن ، والثاني : المدينة لم يخلق مثل مدينتهم ذات العماد ، قاله عكرمة([3]) .

وفي وصف هذه الأمة أو البلدة بهذه الصفات الدالة كلها على القوة سواء كان في المباني أو أجسام أصحابها وكثرة ما أعطاهم الله من النعم تذكرة وعبرة لمن له قلب وأراد أن يتعظ لأنهم وبعد كل ما أتوه من المنعة والقوة أهلكهم الله بعذاب من عنده بريح تجعل عال هذه العماد القوية سافلها وتزلزلها حتى أصبحت وكأنها لم تغن بالأمس .

عاقبة قوم عاد :

استمر هود عليه السلام في دعوة قومه وتذكيرهم بنعم الله حتى يصرف عقولهم إلى التفكر حتى ولو قليلاً في الذي يمن عليهم بهذه النعم الظاهرة التي لا يستطيع مخلوق أن يعطيهم إياها لعل ذلك يكون لهم تذكرة ويؤمنوا به . وبعدما دعاهم إلى الاستغفار حتى يتوب الله عليهم إذا أنابوا إليه فقال لهم : (وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا

([1]) سورة الفجر الآية ٧

([2]) سورة الفجر الآية ٨

([3]) زاد المسير في علم التفسير – لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي – ج٨ ص ٢٣٧-٢٣٨ ط١ ت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ)([1]) لأن التوبة والاستغفار يفتح طريقاً جديداً يحقق النية ويترجمها إلى عمل يصدق إليه ، ومقابل هذا ينزل الله إليكم المطر حيث كانوا في حاجة إليه. ويزدكم قوة إلى قوتكم التي اشتهرتم بها . وأمرهم أن لا يرتكبوا جريمة التولي والتكذيب .

ما الحكمة من زيادة القوة وإنزال المطر بالاستغفار ؟

إن كثرة الاستغفار والتوبة تجلي القلوب وتنظفها وتملؤها إيماناً بالله عز وجل ، مما يزيد قوة الإنسان ، لأنه حينها يكون قد علم أن كل شئ مقدر من عند الله عز وجل ، ولقد تتوافر القوة لمن لا يحكمون شريعة الله في قلوبهم ولا في مجتمعهم ولكنها قوة إلى حين ، حتى تنتهي الأمور إلى نهايتها الطبيعية وفق سنة الله لأنها لا ترتكز إلى أساس متين وأما إرسال المطر فهو سنة طبيعية ولكن بقدرة الله يمكن أن تكون محبياً في مكان وزمان ومدمراً في آخر . إنها سنة الله في الكون !

وبعد كل هذا التذكير تكبر قوم هود وقالوا له : (قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ..)([2]) إلى هذا الحد بلغ الانحراف في نفوسهم، حتى ظنوا أن هوداً يهذي لأن آلهتهم المفتراة قد مسته بسوء([3]) .

أراد نبي الله هود أن يقوي لهم الحجة بالشهادة فقال : (قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ)([4]) وهذا تحد منه لهم وتبرأ من آلهتهم وتنقص منه لها ، وبيان أنها لا تنفع ولا تضر ، فإن كانت كما تزعمون فها أنا برئ منها لاعن لها ، فكيدوني ثم لا تنظرون أنتم جميعاً ولا تؤخرون ساعة واحدة ، فإني لا أبالي بها ولا بكم لأن الذي سيحميني هو الله (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى

([1]) سورة هود الآية ٥٢

([2]) سورة هود الآية ٥٣

([3]) في ظلال القرآن – سيد قطب ج١٠ ط٧ ١٣٩١هـ-١٩٧١م . ص ٥٧٧-٥٧٨ .

([4]) سورة هود الآيات ٥٤-٥٥

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)([1]) فإنه لا يضيع من لاذ به واستند إليه . وبعد أن أعماهم الضلال عن سماع الهدى ، وبيان الحجة الواضحة قالوا : (وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ)([2]) استبعدوا أن يبعث الله رسلاً بشرية وهذه الشبهة أدلى بها كثير من جملة الكفرة قديماً وحديثاً . واستبعدوا الميعاد وأنكروا قيام الأجساد بعد صيرورتها تراباً وعظاماً وقال : (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ)([3]) أي بعيداً هذا الوعد . (إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)([4]) أي يموت قوم ويحيا آخرون وهذا هو اعتقاد الرهوية ، كما يقول بعض الجهلة من الزنادقة : أرحام تدفع وأرض تبلع([5]) .

ويصور لنا القرآن الكريم جدل هود عليه السلام مع قومه بعد أن كذبوه واتهموه بالسفاهة وسيطر على قومه تقليد الآباء حتى سلبهم حرية النظر والتفكير . وكانت حجته عليه السلام قوية حيث حول آلهتهم إلى مجرد أسماء ، كأن ليس لها أسماء في عالم الحقيقة فقال لهم : (قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ)([6]) .

بعد ما استعمل معهم كل أساليب الدعوة والإنذار والتهديد بدأ العذاب ينزل عليهم شيئاً فشيئاً ، فانحبس عنهم المطر سنين ثلاث ، إنذاراً بقرب حلول العذاب ، وبعدها أمر الله بإنزال العذاب بهم بسبب جحودهم للرسالة وكفرهم وطغيانهم فنجى الله هوداً والذين آمنوا معه من العذاب وأهلك القوم المجرمين . ولم يفسر لنا القرآن كيفية نجاته ، ويرى بعض المؤرخين أن نجاته كانت باعتزال قومه بعد

([1]) سورة هود الآية ٥٦

([2]) سورة المؤمنون الآية ٣٣-٣٥

([3]) سورة المؤمنون الآية ٣٦

([4]) سورة المؤمنون الآية ٣٧

([5]) قصص الأنبياء – للإمام ابن كثير – ص ١٢٦-١٢٧ .

([6]) سورة الأعراف الآية ٧١

يأسه من قبول دعوته وذهابه مع من آمن به إلى مكة وعاش فيها أمداً ثم مات ودفن([1]) . أما عاد فسلط الله عليهم ريحاً عاصفة تتابعت سبع ليال وثمانية أيام فهلكوا ، وتناثرت جثثهم على الأرض كالنخل المنتزع من جذوره وأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم . جاء في قوله تعالى : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)([2])([3]) .

المتمعن في هذه القصة يحس ويشعر بما عاناه نبي الله هود عليه السلام مع قومه دعوة إلى الحق بكل أساليبها من لين وحكمة وموعظة حسنة وترغيب وترهيب ولكنهم قابلوا كل هذا بالاستهزاء والتهكم والتكبر عليه لجهلهم بعظمة الله وقوته ، واستبعادهم بأن يكون هوداً مرسل من عند الله ، ولم يتعجل هود قومه ولم يدعوا عليهم رحمة بهم ورجاء أن يؤمنوا به ويصدقوه ، وكذلك أمهلهم الله في نزول عذابه بهم رغم علمه الأزلي بأنهم لا يؤمنون ولكن حتى تقوم الحجة عليهم بالدليل الواضح والبرهان الذي تدركه عقول العامة كي يكون عظة وعبرة لغيرهم ، وحتى لا يقولوا (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) وكي لا يكون للناس حجة بعد الرسل ، فإن كذبوا فإن الله قوي عزيز في أخذه الكفار ، وهذه هي حكمته في إرسال رسله ، وأيضاً في قصصهم عبرة وتذكرة لمن بعدهم حتى لا يسلكوا منهجهم هذا . (٤)

وأيضاً جاءت في القرآن الكريم وفي كثير من المواضع وبأساليب متنوعة حتى يعطي صورة كاملة لكل القصة بكامل جوانبها وتفاصيلها ، حتى يأخذوا الحيطة والحذر مما وقعت فيه الأمم السابقة من الكفر والطغيان وعصيان أنبيائهم ، ولكن حكمة الله في خلقه أن يجعل منهم كافر ومؤمن .(٤)

فالله نسأل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول ويتبعون أحسنه .

([1]) أخبار مكة للأزرقي في ١/٣٠

([2]) سورة الحاقة الآيات ٦-٨

([3]) مع الأنبياء في القرآن الكريم – عطيف عبد الفتاح طبارة – ط١٧ ت ١٩٨٩م ص

(٤) الباحثة

المطلب الثاني

ثمود قوم صالح

هم قبيلة مشهورة ، يقال لهم ثمود باسم جدهم أخ جريس ، وهما ابنا عائد ابن إرم بن سام بن نوح ، وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك ، وقد مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين وكانوا يعبدون الأصنام وهم بعد قوم عاد ، وكثيراً ما يقرن الله عز وجل بينهم كما في سور براءة وإبراهيم والفرقان وص والنجم والفجر وغيرها . ويقال أن هاتين الأمتين لا يعرف خبرهما أهل الكتاب ، وليس لها ذكر في كتابهم ، ولكن في القرآن ما يدل على أن موسى عليه السلام أخبر عنهم كما قال تعالى في سورة إبراهيم : (وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ)([1])([2]) .

قال تعالى : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)([3]) .

وورد ذكرهم أيضاً في قوله تعالى : (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)([4]) . فخاطب المولى عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يذكر قومه ويدعوهم إلى وحدانية الله وعبادته بكل أنواع الدعوى والتذكير فإن أعرضوا بعدها وتكبروا فحذرهم أن تصيبهم صاعقة : أي عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة . من كل جانب . واجتهدوا

([1]) سورة إبراهيم الآية ٨-٩

([2]) قصص الأنبياء - لابن كثير - ص ٨٨-٨٩ .

([3]) سورة الشعراء الآيات من ١٤١-١٤٥ .

([4]) سورة فصلت الآيات من ١٣-١٤ .

واعملوا معهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض وقالوا لرسلهم هود وصالح ولجميع الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) لأنكم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم : ما أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال ، وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم ، روي أن أبا جهل قال في ملأ من قريش : قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ، فأتاه عتبة بن ربيعة فقال له : أنت يا محمد خير أم هاشم، أنت خير أم عبد المطلب ، أنت خير أم عبد الله ، فيم تشتم آلهتنا وتضللنا ؟ فإن كنت تريد الرئاسة عقدنا لك اللواء فكنت رئسنا وعدد له الكثير من أمور الدنيا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت ، فلما فرغ ، قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، (حم) ، إلى قوله (صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) ، فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش ، فظنوا أنه صبأ ، فلما أتوه أخبرهم بما سمع منه صلى الله عليه وسلم وقال : إن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب([1]) .

رجاء قوم صالح فيه :

قال قوم صالح مستنكرين عليه دعوته لهم للتوحيد فقالوا (قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا)([2]) أي كنت موضع رجائنا لمهمات أمورنا لما لك من المكانة في بيتك وصفتك الشخصية قبل دعوتك إيانا لتبديل ديننا بما تزعم من بطلانه ، فانقطع رجاؤنا منك (أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) ؟ استنكاراً وتعجباً منهم في ترك ما كان يعبد آباؤنا (وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) أي أنا لواقعون في شك من عبادة الله وحده ، فرد عليهم قائلاً : (قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً)([3]) أي أخبروني عن حالي معكم إن كنت على حجة واضحة من ربي فيما أدعوكم إليه ووهبني رحمة خاصة وجعلني نبياً مرسلاً إليكم (فَمَنْ يَنصُرُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ) لأنه يعلم صدق ما جاء به ومؤمناً

([1]) حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – الكشاف ج٣ ص ٤٤٨ .

([2]) سورة هود الآية ٦٢

([3]) سورة هود الآية ٦٣

مؤقناً بالله لذلك قال لهم (فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ)([1]) لأنكم لا تستطيعون رد قضاء الله وعذابه عليّ أن خالفته وتركت دعوته . وقال عطاء ومجاهد : ما تزدادون أنتم إلا خساراً ، ولعل مرادهما ما تزيدونني بقولكم إلا علماً بخساركم باستبدال الشرك بالتوحيد([2]) .

بعد هذا الجدل والدعوة المستميتة من صالح عليه السلام طلب منه قومه أن يأتيهم بآية يتبينون بها صدق دعوته ، فقال لهم هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فذروها تأكل في أرض الله ، وحذرهم الفتك بها ، ولعل هذه الناقة كانت ضخمة الجسم متميزة الشكل ، فأرهبت أنعامهم وأخافت إبلهم ، فكرهوا مقامها بينهم وحالت بينهم وبين الماء حين الحاجة إليها ، وكذلك نوازع الشر دعتهم إلى طمس هذه الآية الحية الواضحة بينهم ، حتى لا يكثر المؤمنون به وظن القوم أن الناقة خطراً جسيماً عليهم ، ففكروا بكل وسيلة في التخلص منها وأخيراً لجأوا إلى النساء يستغوين الرجال بقتلها فإذا بصدوف بنت المحيا تعرض نفسها على مصدع ابن مهرج ومهرها قتل الناقة ، وغيرها من النساء فعلن ذلك ، وأخيراً استطاع هؤلاء قتلها (وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ)([3]) فقال لهم صالح : لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون . ولكنهم أضمروا له الشر وأجمعوا أمرهم أن يباغتوه ليلاً ويقتلوه هو وأهله سراً لا يعلمه أحد ، ولكن مكر الله كان أسرع من مكرهم ، ورد إليهم كيدهم ونجاه مما أرادوا به وأنقذه والذين آمنوا معه من العذاب ، وأنزل بالكافرين عقابه تصديقاً لوعده ومظاهرة لنبيه ، فأخذتهم الصاعقة فأصبحوا في ديارهم جاثمين . ورأى صالح ما حل بهم ، فتولى عنهم والأسى يملأ نفسه ، (وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)([4])([1]) .

([1]) سورة هود الآية ٦٣

([2]) تفسير القرآن الحكيم – المنار – محمد رشيد رضا – ج١٢ ص ١٢٢ – وهو من تلاميذ الشيخ محمد عبده وظهرت ثمرته في تفسيره المنار وبدأ تفسير القرآن من أوله حتى انتهى إلى قوله تعالى (رب قد اتيتني من الملك – من الصالحين) وعاجلته المنية قبل اتمامه ، وطبع تفسيره في اثنى عشر مجلد وهو غني بالمأثور .

([3]) سورة الأعراف الآية ٧٧

([4]) سورة الأعراف الآية ٧٩

المبحث الثاني

قرى بني إسرائيل وأسباب هلاكها

المطلب الأول : أخبارهم

المطلب الثاني : جدل بني إسرائيل

المطلب الثالث : عقاب بنو إسرائيل

المطلب الأول

أخبارهم

قص القرآن الكريم أخبار بني إسرائيل في كثير من السور والآيات متفرقة ومجتمعة وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)([1]) .

عن البراء قال : (كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن أصحاب بدر على عدة أصحاب جالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن : بضعة عشر وثلاثمائة) رواه البخاري وابن أبي شيبة([2]) .

وخاطب المولى عز وجل بني إسرائيل في سياق القرآن كثيراً وقال عز وجل : (يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)([3]) .

بدأت هذه الآيات نداء علو،جليل إلى بني إسرائيل ، مذكراً لهم بنعمته ودعوهم إلى الوفاء بعهدهم معه ليوفي بعهده معهم وإلى تقواه وخشيته ، تمهيداً لدعوتهم إلى الإيمان ، ومنذر بموقفهم معه وكفرهم به أول من يكفر وتلبيس الحق بالباطل وكتمان الحق ليموهوا على الناس،وأمرهم أن يقيموا والصلاة ويؤتوا الزكاة([4])

و إسرائيل قيل معناه عبد الله وقيل القوى بالله لأن إسرائيل معناه عبد أو القوى ، و إيل معناه الله ، وقيل مأخوذ من الإسراء لأنه أسرى بالليل مهاجراً إلى الله تعالى([5]) .

([1]) البقرة الآية ٢٤٦

([2]) التفسير الوجيز لكتاب الله العزيز - أسامة عبد الكريم الرفاعي ط٤ - ت ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ص ٤١ .

([3]) سورة البقرة الآيات ٤٠-٤٣

([4]) في ظلال القرآن - سيد قطب - ج١ - ت ١٩٣٤-١٩٧١م .

([5])حاشية الصاوي في تفسير الجلالين - ج١- الشيخ أحمد الصاوي المالكي - ت ط ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م - ص ٥٣ .

حظي بنو إسرائيل في القرآن الكريم بنصيب وافر من الإحاطة والشمول لكافة المتعلقات التي تتصل بالعقيدة الإلهية ، ذلك لأن الإسلام هو الدين الذي انتقلت به الرسالة من بيت بني إسرائيل بعد مطاف طويل بداية من بيت إسحاق ويعقوب ونهاية بالسيد المسيح ، لذلك كان الحديث عنهم في القرآن مستفيضاً حتى يمكنه صلى الله عليه وسلم من تفهم كل ما يعاونه في رسالة الله الخاتمة للناس جميعاً وهم جزء من هذا الجمع ، وبين له أنماط من الذين استجابوا والذين رفضوا للعون الإلهي ، ولما كان اليهود قد خضعوا لأهوائهم وشهواتهم وعبدوا المال وجعلوه مدخلاً لضروب العبادة والتقرب إلى ما يستهدفون ، فقص عليهم خبر التزام إبراهيم عليه السلام بعبادة ربه وأوامره وبنيه أيضاً من بعده ، مبيناً لهم أن الانتماء إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام يكون باتباع منهجه في الطريق إلى الله وما كان يقوم به من طهر(١) .

وتقرب ونقاء فقال تعالى : (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(٢) .

وجاء في قوله عز وجل : (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ)(٣) إسرائيل هو : يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، قال ابن عباس فيما رواه الترمذي : فيما روي أصاب يعقوب عرق النسا ووصف له الأطباء أن يجتنب لحوم

---

(١) بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم – صابر طعيمة ط١ – ت ١٩٧٥م – ص٢١-٢٢ .

(٢) سورة البقرة الآيات من ١٣٠-١٣٤ .

(٣) سورة آل عمران الآيات ٩٣-٩٤

الإبل فحرمها على نفسه وحرم العروق ، وقال اليهود : إنا نحرم على أنفسنا لحوم الإبل لأن يعقوب حرمها وأنزل الله يحرمها في التوراة ، فانزل الله الآية هذه ، لما جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختبرونه في ذلك قال الضحاك : فكذبهم الله ورد عليهم وتحداهم بالإثبات بالتوراة وتلاوتها ، فلم يستطيعوا وكابروا فقال تعالى : (فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ)([1])([2])

أمثلة من القرآن المكي والمدني في بني إسرائيل :

جاء في الآيات المكية في بني إسرائيل غير عنيفة ومنها ما كان فيه تنويه وإشارة واستشهاد بهم ، ذلك لأن اليهود في مكة لم يكونوا كثر وإنما أفراد مستقرون وأفراد يترددون عليها وأخر من النوعين ، ولأن الدعوة كانت لتوحيد الله الذي يدين به اليهود ، وإلى الاعتراف بالكتب المنزلة والأنبياء السابقين الذين كان جلهم من بني إسرائيل ، ولم يكن مجال للاصطدام بينهم وبين النبي في مكة ، فلم يقابلوا الدعوة بالمنأوة بل قابلوها بالارتياح والتصديق . أما بالمدينة فكانوا كتلة كبيرة ومركزهم ممتاز ، لذلك لما جاءها النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا استشعروا الخطر على مصالحهم ومركزهم ، فقابلوا دعوته بالتجهم والعداء وظهرت أخلاقهم فتغير أسلوب القرآن فيهم([3]) .

أمثلة من الآيات المكية في بني إسرائيل :

قوله تعالى : (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ)([4]) (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلْ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ)([5]) . وغيرها الكثير من الآيات .

([1])بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم – صابر طعيمة – ص ١٣١-١٣٢.

([2]) سورة آل عمران الآية ٩٤

([3]) اليهود في القرآن الكريم – محمد عزة وروزه – ص ٧-٩ .

([4]) سورة الأنعام الآية ١١٤

([5]) سورة يونس الآية ٩٤

أما الآيات المدنية فمنها :

قوله تعالى : (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)([1]) .

وقوله عز وجل : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)([2]) .

وكذلك قوله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا)([3]) .

وهذا قليل من كثير من أمثلتهم في القرآن العظيم .

([1]) سورة البقرة الآية ٧٢

([2]) سورة البقرة الآية ٨٧

([3]) سورة النساء الآيات ٤٤-٤٥

المطلب الثاني

جدل بني إسرائيل

قال رب العزة جلا وعلا موحياً إلى رسوله موسى عليه السلام أن يقول لقومه : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً)([1]) ومع أن الذي يحدثهم نبي ورسول كليم من أولي العزم من الرسل ويسند الخبر إلى ربه لكنهم عدلوا عن مقام العبودية إلى مقام مساءلته (قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ)([2]) .

أسلوب سخرية واستهزاء ، ولكنهم وبعد أن أجابهم بأن (أعوذ بالله) انتقلوا إلى مقام المجادلة فقالوا : (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ)([3]) ، فأخذوا يجادلون حتى ضيق الله عليهم أوصافها ، ولولا ذلك لذبحوا أي بقرة كانت ولكنه العناد والمكابرة !

ما الحكمة من ذبح البقرة ؟ الحكمة هي أن بنو إسرائيل عبدوا العجل ابن البقرة فإذا ذبحت البقرة ولم يستطيع أبنها حمايتها فكيف يعبد ؟ وأن ذلل ذلك للعباد فكيف يذلل بنو إسرائيل أنفسهم لبعض ما ذلل الله تعالى للعباد([4]) .

فساد بني إسرائيل :

قال تعالى : (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا)([5]) .

قضى الله إلى بني إسرائيل وأخبرهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً أي يتجاوزون ويطغون ويفجرون على الناس ، فإذا جاء أول الإفساد ، سلطنا عليكم جنداً من خلقنا أولي بأس شديد أي قوة وعدة وعدد فجاسوا

([1]) سورة البقرة الآية ٦٧

([2]) سورة البقرة الآية ٦٧

([3]) سورة البقرة الآية ٦٨

([4]) اليهود في القرآن الكريم - الشيخ صلاح أبو إسماعيل - ص ٢٦-٢٧ .

([5]) سورة الإسراء الآية ٤-٦

خلال الديار ، تملكوا بلادكم وسلكوا بين بيوتكم ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحد وكان وعداً مفعولاً ، (ثم رددنا لكم الكره عليهم) وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل سنجاريب وجنوده ، وعنه أيضاً وعن غيره أنه بختنصر ملك بابل ، ذكر أنه كان فقيراً مقعداً فترقى من حال إلى حال إلى أن ملك البلاد وأنه سار إلى بيت المقدس فقتل بها خلقاً كثيراً من بني إسرائيل([1]) .

وجاء في الحديث عنهم : حدثنا بندار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص([2]) كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه ، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن فقال : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) فقرأ حتى بلغ (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)([3]) قال وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس فقال : (لا حتى تأخذوا على يدي الظالم فتأطروه على الحق أطراً)([4]) .

وفي رواية لنفس الحديث قال فيها صلى الله عليه وسلم : (نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم الله) .

([1]) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – ج٣ ط١ ت ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ص ٤٩٤ .

([2]) النقص : المعاصي .

([3]) سورة المائدة الآيات ٧٨-٨٠

([4]) صحيح الترمذي ج١١ – لابن العربي المالكي – بدون طبعة – ص ١٧٦ .

المطلب الثالث

عقاب بنو إسرائيل

كثر خطاب بني إسرائيل في القرآن الكريم من عتاب وزجر وأرسلت إليهم آيات كثيرة ، وذكروا وامتحنوا كثيراً ولكنهم في كلها كانوا يصرون على عنادهم وطغيانهم ، وكان من أول ما بدأ به القرآن الكريم في عقابهم الاستهزاء حيث قال تعالى فيهم (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)([1]) اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء ، فقال جمهور العلماء : هي تسمية العقوبة باسم الدين،والعرب تستعمل ذلك كثيراً . وقال قوم : إن الله يفعل بهم أفعالاً هي في تأمل البشر هزؤ (يعني يوم القيامة) . وقال قوم : استهزاؤه بهم هو استدراجهم من حيث لا يعلمون، وذلك لأنهم بنزول نعم الله عليهم في الدنيا يحسبون أنه راض عنهم وهو تعالى قد حتم عذابهم ، فهذا على تأمل البشر كأنه استهزاء (وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) أي يمهلهم ويلجهم في الغلو وتحدي الحد ويترددون حيرة ، والعمه الحيرة من جهة النظر([2]) .

وأيضاً جاء في قوله تعالى : (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)([3]) .

يستفهم المولى عز وجل متعجباً لكفرهم ، أي كيف يستحق الهداية قوم كفروا بعد إيمانهم وجاءتهم الشواهد بأن محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله والمعجزات البينات على صدقه لذلك لا يوفقهم الله لطريق السعادة (أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ)([4]) أي أنهم ماكثون في النار أبد الأبدين لا يفتر عنهم العذاب ولا

([1]) سورة البقرة الآية ١٥

([2]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي – ج١ ط١ – ت ١٣٩٨هـ-١٩٧٧م ص ١٧٦-١٧٧ .

([3]) سورة آل عمران الآية ٨٦

([4]) سورة آل عمران الآيات ٨٧-٨٨

هم يمهلون([1]) .

وقال تعالى في موقف بني إسرائيل مع سيدنا موسى عليه السلام (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)([2]) .

يعرض عز وجل هذه الآيات التي جاء بها موسى لقومه ومواجهتهم لها بالعناد ، حتى يبين لنا مدى إصرار الطاغون على الباطل في وجه الحق ، ومقاومته للدعوى ، وهو يعلم علم اليقين أن هذه الدعوة بذاتها هي حرب عليه ، بإنكار شريعة قيامه من أساسه ، وما يمكن أن يسمح الطاغون بإعلان أن لا إله إلا الله ، إلا حين تفقد هذه الكلمات مدلولها الحقيقي وتصبح لا مدلول لها ، فحينها لا تؤديه لأنها لا تعنيه ، ولكن عندما تأخذ عصبة من الناس بهذه الكلمات ومدلولها الحقيقي فإن الطاغوت لا يطبقها ، كما هو واضح في قصة فرعون مع موسى والسحرة وإعلانهم للإيمان ، وظل الملأ من قومه مصرين على رد هذه الدعوة والآيات تتوالى عليهم والنكبات من الجدب والآفات والجوع والبلاء . وكل هذا كان عندهم أيسر وأسهل من التسليم بربوبية الله رب العالمين ، نسبة لما تحويه من مدلول صريح بعزلهم عن مزاولة هذا السلطان المغتصب الذي يعبدون به الناس لغير رب العالمين([3]) .

([1]) صفوة التفاسير – محمد علي الصابوني – ج١ – ص٢١٤ .

([2]) سورة الأعراف الآية ١٣٠ .

([3]) في ظلال القرآن – سيد قطب – ج٧ – ط٧ – ت ١٣٩١هـ–١٩٧١م – ص ٥٧٦ .

المبحث الثالث

قرية لوط وأسباب هلاكها

المطلب الأول : لوط عليه السلام في سدوم

المطلب الثاني : صراع قوم لوط

المطلب الثالث : عاقبة قوم لوط

المطلب الأول

لوط عليه السلام في سدوم

سدوم قرية من قرى بلاد الأردن كانت خاسرة فاجرة تعمل الخبائث وبها عادات تتنافى مع المبادئ القويمة ولا يقرها الطبع الكريم ، ولوط عليه السلام بن هارون أخ إبراهيم عليه السلام ، هاجر إلى سدوم بعد أن آمن برسالة عمه إبراهيم كما قال تعالى : (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)([1]) فاختاره الله لما فيها من فساد ومنكرات ، فكانت رسالته إليها حرباً على الشذوذ والانحراف فقد ركز عليها الكتاب العزيز أكثر من تقوى الله وعبادته لما فيها من قبح وشناعة ، ففي سورة الأعراف سفّه الله قوم لوط نص عليهم أنهم يعملون فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من الجنس البشري ولا غيره من الأجناس ، فلما دعاهم لوط لترك هذه الفاحشة طلبوا اخراجه ومن آمن معه لأنهم يطلبون الطهارة وهي مخالفة لمبادئهم التي تعشق الرجس([2]) .

وقال تعالى حاكياً عن لوط وقومه : (وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ)([3]) . يسأل لوط قومه سؤال استنكار أي أتفعلون في القبح ؟ وقوله (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) فيه قولان أن (من) زائدة لتوكيد النفي وإفادة الاستغراق ، والثاني : للتبعيض كذلك الجمع عليها فلم يقدم عليها قوم بكليتهم إلا هم ، قال الحسن : كانوا ينكحون الرجال من أدبارهم ، ولا ينكحون إلا الغرباء([4]) .

وجاء قوله تعالى حاكياً عن قوم لوط : (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ

([1]) سورة العنكبوت ، الآية ٢٦

([2]) تاريخ الانبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، محمد الطيب النجار ، ط١ ، ت١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص١١٧-١١٨

([3]) سورة العنكبوت ، الآية ٢٨

([4]) التفسير الكبير ، مفاتيح الغيب ، لإمام فخر الدين الرازي ، ج١٤ ، ص١٣٧

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ([1]) . وقال لهم نبيهم مستنكراً فعلهم (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ)([2]) أي الذكور من بني آدم (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ)([3]) قال الزجاج : وقرأ ابن مسعود : (ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم) يعني به الفروج وقال مجاهد : تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) ([4]) . أي ظالمون معتدون . فماذا كان ردهم على هذا الفعل وهذا الاستنكار من نبيهم ؟ هل اعتذروا عن فعلهم هذا وتابوا إلى الله منه ؟ لا بل حاولوا أن يردوا إلى ما هم فيه من الضلال والجهل ! وقالوا (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ) أي لئن لم تسكت عن نهينا - تهديد له- ماذا يكون حاله؟ (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ)([5]) من قريتنا ، وهذا حال كل متكبر لفعله لا يريد أحد يذكره ويردعه عما هو فيه من التيه والعمى عن الحق ، لكن النبي المرسل من عند العزيز القوي لم ينته إلى تهديهم ، فقال لهم (قال إني لعملكم) أي إتيان الرجال (من الغالين) قال ابن قتيبة : أي من المبغضين([6]) .

([1]) سورة الشعراء ، الآيات ١٦٠-١٦٤

([2]) سورة الشعراء ، الآية١٦٥

([3]) سورة الشعراء ، الآية ١٦٦

([4]) سورة الشعراء ، الآية ١٦٦

([5]) سورة الشعراء ، الآية ١٦٧

([6]) زاد المسير ، لابن الجوزي ، ج٦ ، ط٣ ، ت١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م ، ص١٤٠

المطلب الثاني

صراع قوم لوط

لما ألح لوط عليه السلام على قومه في الدعوة وتقوى الله والابتعاد عن الفاحشة لم يؤمنوا به بل جابهوه بالتهديد فقالوا (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ)([1]) ، ثم تأتي الآيات من عند العليم الخبير ، حيث كانت قصة الأضياف رهيبة تعلقت في أعماق نفسه عليه السلام وظهرت ملامحها على وجهه خوفاً على أضيافه ، حيث خرج الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام وجاءوا إلى لوط عليه السلام فدخلوا عليه في صورة شباب حسان ولم يخبروه بالحقيقة ، فرحب بهم ضيوفاً ، وخاف عليهم من المجرمين الأشرار لأنهم دخلوا عليه في وقت الظهيرة، وهم في غاية الجمال فأخذ يفكر فيما سيفعل إذا اعتدى عليهم المجرمون ؟ ولكن سرعان ما وقع ما كان يخشاه ، فأقبل رجال القرية من قومه ، وأخذ لوط عليه السلام يجادلهم ويناقشهم بلطف ولين ، لعلهم يرتدعون ويخجلون مما هم عليه ، ثم عرض عليهم الزواج من بناته أو بنات القرية لأنه أكرم وأفضل لهم ، لكنهم الخبثاء صارحوه بقصدهم وحقيقة ما يريدون وهو يعلم ذلك ، فزاد همه وغمه عندما شعر الملائكة بذلك أخبروه حقيقة أمرهم ، وأنهم ليس ببشر ولا يستطيعون الوصول إليه ، وأمروه بالخروج من أرض قومه قبل طلوع الصبح لأن موعد هلاك قومه وقت الصبح كما قال تعالى : (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)([2]) ؟

فعندما جاءت الرسل لإبراهيم عليه السلام وبعد اكرامهم بالعجل وعدم أكلهم الطعام خافهم إبراهيم عليه السلام وبعدها أخبروه بأنهم مرسلين إلى قوم لوط ليعذبهم ، فجادلهم إبراهيم من ذلك بأن فيهم قوماً مؤمنين لا يستحقون العذاب ، ولكنهم أخبروه بأن هذا الأمر قد انتهى لأنه من عند الله وليس منهم ، وهو أعلم

([1]) سورة الشعراء ، الآية ١٦٧

([2]) سورة هود ، الآية ٨١

بمن في هذه القرية قالوا له (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ)([1]).

بعدما عرض لوط عليه السلام بناته لقومه كي ينكحوهن ويتركوا ضيوفه ، أجابوه بأنهم لا يريدون بناته فقالوا : (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ)([2]) أي ما لنا في بناتك حق إنك لا ترى جواز نكاحنا للمسلمات ، وهذا دليل على تحريم نكاح الكفار منذ أول الرسالات ، وقيل لأنهم كانوا قد خطبوهن فردهم وكان من سنتهم أن من رد في خطبة امرأة لا تحل له أبداً وغيرها من الأقوال التي وردت في هذا المعنى (وإنك لتعلم ما نريد) من إتيان الذكور ، ولما يئس عليه السلام من إرعوائهم عما هم عليه من الغي قال (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً)([3]) يعني لوط عليه السلام لو كان ذا قوة تمكنه من دفعهم أو إن ينتمي إلى قوي (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) ([4]) كي امنع به عنكم أشهد به عليكم ، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : (رحم الله تعالى أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد) يعني عليه السلام به الله تعالى فإنه لا ركن أشد منه عز وجل([5]) ؟

وفي سياق آخر قد دعا لوط عليه السلام قومه إلى عبادة الله وتوحيده ونهاهم عن اتيان الفواحش والمنكرات وقطع الطريق وخيانة الرقيق ، ولكنهم تمادوا في عنادهم وكفرهم فقالوا له (ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)([6]) فدعا لوط ربه أن ينصره على هؤلاء القوم المفسدين ، فاستجاب الله دعاءه وبعث رسله وملائكته الكرام ، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل([7]) .

أراد لوط عليه السلام أن يطهر قومه مما انقمسوا فيه من الفواحش والرذائل التي منها إتيان الذكور وقطع الطريق والمجاهرة بالمعصية في ناديهم

([1]) سورة هود ، الآية ٧٦

([2]) سورة هود ، الآية ٧٩

([3]) سورة هود ، الآية ٨٠

([4]) سورة هود ، الآية ٨٠

([5]) روح المعاني ، للآلوسي ، ج١٢ ، ص١٠٧-١٠٨

([6]) سورة العنكبوت ، الآية ٢٩

([7]) تاريخ الأنبياء ، محمد الطيب النجار ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص١١٩

لكل هذه المنكرات التي استباحوها أراد أن يبعدهم عنها ليطـــهر بذلـك النفـوس والمجتمع ، غير أن قومه استحكمت عليهم المعصية وصارت جزءاً من كيانـــهم لا ينفك عنها ، فردوا عليه انذاره لهم بالعذاب بأن يأتيهم به إن كان صادقاً[1] .

([1]) معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ج٢ ، ص٩٦٧

المطلب الثالث

عاقبة قوم لوط

بعد أن دعا لوط قومه إلى الحق ونهاهم عما هم فيه من فساد ومنكرات وفواحش ، وبعد أن جادلوه وهددوه بإخراجه من قريتهم إذا لم ينته عما يدعوهم إليه ، أراد الله أن ينصر رسوله عليه السلام باتيان الحق وازهاق الباطل ، فأمر لوطاً عليه السلام أن يسري بأهله ليلاً ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته لعدم إيمانها به وأخبره بأن موعدهم الصبح .

أخرج ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم بن محمد القرطبي ، قال حدثت أن الله تعالى بعث جبريل عليه السلام إلى المؤتفكة (مؤتفكة) قوم لوط فاحتضنها بجناحه ثم صعد بها حتى أن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ثم اتبعها الله بالحجارة كما قال تعالى : (جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ)([1]) .

وقال تعالى : (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ)([2]) كذلك أكد الملائكة للوط عليه السلام بأنه سينتصر عليهم كما جاء في قوله تعالى : (قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)([3]) وقيل أن يخرج لوط طمس الله على عيونهم فلم يروا شيئاً كما قال تعالى : (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ)([4]) ، وأرسل عليهم الصيحة فشلت أبدانهم (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ)([5]) ونجى الله تعالى لوطاً عليه السلام ومن آمن معه (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) ([6]) بعدها أصابت المدينة

([1]) سورة هود ، الآية ٨٢

([2]) سورة الحجر ، الآية ٦٦

([3]) سورة الحجر ، الآية ٦٣-٦٤

([4]) سورة القمر ، الآية ٣٧

([5]) سورة الحجر ، الآية ٧٣

([6]) سورة القمر ، الآية ٣٤

هزة عنيفة جعلت عاليها سافلها وأمطرهم الله بحجارة من جهنم ، وأرسل عليهم دخان شوى وجوده وحول المدينة إلى بحيرة كريهة الرائحة كما قال تعالى : (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى)([1])([2]) .

فلجأ لوط إلى ربه متضرعاً شاكياً حال قومه الذي يعلمه من قبل فقال مناجياً ربه بعد أن جادل وخاصم قومه (رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ)([3]) فاستجاب له ربه بقوله (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ) ([4]) أي : كلهم ، لكنه استثنى منهم (إلا عجوزا في الغابرين) وهي امرأته وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع من بقي من قومها كما أخبر الله عنها في كثير من السور([5]) .

المتدبر في قصة قرية لوط والمتفحص لها يجد أنها تشابه غيرها من القرى الهالكة بسبب طغيانها وكفرها وعنادها لنبيها المرسل إليها ، مع اتيانه بالحج والبراهين ، إلا أنها تختلف مع غيرها في نوعية الإثم الذي ارتكبوه ، حيث أنهم ابتدعوا شيئاً جديداً من الآثام بإتيانهم الرجال لقضاء شهواتهم دون النساء ومجاهرتهم بهذا الإثم الذي فيه من البشاعة ، بحيث أنه لو تابعهم الناس على ما هم عليه لانقضى الجنس البشري وتفشت الأمراض بين الناس ، ونخش أن يقع علينا اليوم مثل هذا الفعل من كثر عذوف الشباب عن الزواج وتخبطهم بين عولمة تدعوهم إلى الحرية التامة والتفكك الأخلاقي وبين دين يأمرهم بالفضائل والتمسك بها وينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبعد عنها ، فنسأل الله لنا ولهم الهداية والسير على طريق مستقيم والله المتسعان . [6]

([1]) سورة النجم ، الآيتان ، ٥٣-٥٤

([2]) قصص الأنبياء ، عبد المعز خطاب ، ص٥٨

([3]) سورة الشعراء ، الآية ١٦٩

([4]) سورة الشعراء ، الآية ١٧٠

([5]) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج٦ ، ط٢ ، ت ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص٦٥٨

([6]) الباحثة

الفصل الرابع

سنة الله في القرى الحاضرة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سنة الله في تفكك بلاد الأفغـــان على أيدي الأمريكان وأسباب ذلك:

المبحث الثاني : سنة الله في تفكك بلاد العرب

المبحث الثالث : سنة الله في هلاك الأمم

المبحث الأول

سنة الله في تفكك بلاد الأفغان على أيدي الأمريكان وأسباب ذلك

المبحث الأول

سنة الله في تفكك بلاد الأفغان على أيدي الأمريكان وأسباب ذلك :

تقع بلاد الأفغان عند الركن الشمالي الشرقي من الهضبة الإيرانية الآسيوية، وإقليمها جبلي شديد الوعورة في أغلبه ، وتصل مساحتها إلى ربع المليون من الأميال المربعة ، وتتمثل فيها كل الشعوب الإسلامية بكل عروقها ، ومنهم من ينتمي إلى خير العرب (قريش) ومنهم أيضاً الترك والفرس والمغول ودخل الإسلام إليها في القرن الأول الهجري في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والسبب في انتشار الإسلام في هذه البلاد هو أن العقائد التي كانت تسود فيها كانت تقوم على نظام الطبقات حتى يصل الأمر إلى أن يحرم عليها اتباعها مجالسة غيرهم أو مطاعمتهم ، واستبداد الكهنة باتباعهم ، فعندما جاء الإسلام وجد فيه الأهلون المساوة التامة ودخلوا فيه دون اكراه([1]) .

ودخلت أفغانستان في محنة قاسية منذ عام ١٨٨٠م ، بسبب أحد أبنائها حيث فتح جميع أبواب بلاده لجحافل السوفيت الروس وعندها نهض أبناؤها الأبرار للجهاد ضد هذا العدو واستمرت من محنة إلى أخرى ، حتى عاد جمال الدين الأفغاني وناضل وجاهد لقيام الجامعة الإسلامية وتم اعتقاله في ١٨٩٧م ، ولكن استطاع تلاميذه وزملاؤه مواصلة الجهاد وتدريب المجاهدين بمساعدة بعض الدول الإسلامية حتى يمكنوا من نيل الاستقلال في بلادهم ولكن هل نعم الأفقان بالاستقرار في بلادهم ؟ لا بل ظلوا في جهاد مستمر حتى جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر حيث فجرت محطة س إن إن من حيث لا تدري فضيحة بطلتها محطة الجزيرة العربية القطرية بعد أن عرضت لقاء تلفزيوني كان علواني - مراسل الجزيرة في أفغانستان - قد أجراه مع أسامة بن لادن ، وكان قد استدرجه فيه حتى يجره للإعتراف بمسؤوليته عن أحداث سبتمبر ، وبعدها سلمت قناة الجزيرة الشريط المسجل إلى أمريكا كي يعتبر الدليل الوحيد الذي تملكه أمريكا

([1]) أفغانستان ،د. أحمد محمود الساداتي ، الطبعة النموذجية ، ص٤٠ ، بدون ط ، ولا ت .

ضده ، ومهد ذلك لتجييش العالم وراء الولايات المتحدة لضرب أفغانستان ، وأكدت الصحف العربية في لندن أن إدارة أمريكا احتفلت بزيارة حاكم قطر رغم انتشغالها بما حدث في واشنطن في نيويورك كان بسبب أن الحاكم نفسه سلم الشريط للبيت الأبيض طلباً للرضى وتعبيراً عن الولاء والطاعة ، وطلب منها اخفاء ذلك عن الحكام العرب([1]) .

فما هذا أيها العرب المسلمون ؟ فعندما يقول المولى عز وجل في كتابه العزيز (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) ويقول صلى الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)([2]) فأين هذا مما يعيشه العرب الآن ، من دسائس فيما بينهم وتشكك ومطاعنات وحروب قبلية وتناحر !!! كل هذا بسبب البعد عن الإسلام وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أمره به الله عز وجل .

فقد مضى عام على الحرب ضد أفغانستان ومازال هناك القليل من الوضوح حول الوجهة الحقيقية للسياسة الخارجية الأمريكية وحول الحرب على الإرهاب - فياله من أمر عجيب ! لقد أصبح من يدعوا إلى الحق ويجاهد من أجل الإسلام يسمى إرهاباً ومن يقتل في النفوس البشرية بغير الحق ويستحل الأعراض ويسعى في الأرض فساداً هو الحق وهو الذي يقف معه العالم وينا صره !! فماذا أصابنا ؟ هل هو الوهن كما قال صلى الله عليه وسلم !! أم اتباع لسنن من كان قبلنا كما قال صلى الله عليه وسلم : (ستتبعون سنن من كان قبلكم سنة بسنة حتى ولو دخلوا جحر لدخلتموه) .

فإن الجهد المبذول الآن ضد الأمريكان أصبح يتم من تحت الأرض في شكل استيلاء هادي للمواقع واعتقال المشتبه فيهم ،و اصبح من المستحيل القول بما إذا كان جانب الإسلام هو الكاسب ، وبقدر ما استطاع البنتاغون أن يلف نفسه بذكاء مع ظروف أفغانستان الجلية ، فإن الولايات المتحدة أخذت تحارب خلايا

([1]) الإنترنت A B B time .com

([2]) أخرجه مسلم في صحيحه ج٤ ، ص١٩٩٩ ، رقم الحديث ٢٥٨٦ باب باب تعاطف المؤمنين وتراحمهم وتعاطفهم

الإرهاب بمعسكرات من الأسلاك الشائكة والواضح أن العدو هو ابن لادن والمعاونين معه ، ولكن من الذي يقف إلى جانب أمريكا ؟([1]) .

فأين المسلمين ؟ هل توحد المسلمين لنصرة الإسلام ؟ لا . بل تخاذل الكل وأصبح كل بلد مسلم يتبرأ من أن تكون له أي علاقة بما يقال لهم القاعدة أو حركة طالبان ، ولم يفرض الجهاد حتى يكون فرض عين على كل مسلم ! بل أغلقت كل السبل التي يمكن الوصول بها إلى مناطق الجهاد ، حتى الإعلام أصبح لا يخدم القضية الإسلامية بل أخذ موقفاً محايداً حتى لا يحسب على الدولة صاحبة الإعلام ! ويقول الله تعالى : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)([2]) وقال تعالى : (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)([3]) فعندما بعد المسلمون من الإسلام وضعف الإيمان في قلوبهم ، وسيطر عليها حب الدنيا من مال وبنين وسلطة خارت عذائمهم وضعفت همتهم ، وأصبح لا هم لهم إلا الحفاظ على مناصبهم والدفاع عنها بكل الوسائل حتى ولو أدى ذلك إلى السمع والطاعة والخضوع للأمريكان وحلفائهم ، مما أدى إلى تفككهم أمام الأعداء . فالله الله يا حكام المسلمين .

لقد كان العرب أصحاب حضارة وعلوم وهم الذين اكتشفوا واقتحموا كل المجالات من طب وفلك وغيرها ، ولكنهم بسبب انشغالهم بالماديات وغيرها انصرفوا عن كل هذا ، حتى دخل عليهم الغزو الفكري ، فمنهم من اعترف به واعتبره حقيقة مجسدة يجب أن تحاصر وأن لا تتعدى الحدود الموضوعة لها ، وفريقاً آخر لم يعترف به واعتبرها أوهام لا حقيقة لها وقال إنها ثقافة وفنون وليس غزواً ، وكان يجب على المسلمين أن يقفوا موقفاً وسطاً من هذا ، بحيث لا ينخرطوا فيه كلياً ويكونوا ذيل للحضارة الغربية ، ولا يتخلفون عنه كلياً ويكونون في عزلة تامة عن العالم ، وللأسف الشديد عاش العرب في هذا الصراع فيما بينهم حتى أدى إلى تفكك حضاراتهم وضعف بنيتهم الثقافية ، فقد مر موقف العرب المسلمين من الفكر والثقافة العربية منذ أن بدأ اتصالنا بها بثلاث مراحل :

([1]) Islam to day الإسلام اليوم (الإنترنت)

([2]) سورة محمد الآية ، ٧

([3]) سورة التوبة ، الآية ٣٦

أولاً مرحلة الصدمة وهي التي فقد فيها المسلمون الثقة بكل شيء ووضع الإسلام في قفص الاتهام وانهزم المسلم نفسياً من الداخل وأصبح مهيأ لاستقبال البديل الغربي .

أما الثانية فهي المرحلة التي بدأت النفوس فيها تستقر إلى حد ما ، وبدأ المسلمون يلتقطون أنفاسهم . أما الثالثة فهي مرحلة الصحوة الإسلامية التي بدأ يؤكد فيها المسلمون مزايا الإسلام وخصائصه واكتشفوا أنهم كانوا مخدوعين ثقافياً وفكرياً ، واصبح المسلم أما أحد الخيارين أمام تحقيق الشعارات المرفوعة أو الاستسلام مما جعلنا أيضاً نضعف أمام هذا وذاك([1]) .

لقد كلف الله كل مسلم بعبادته وحده لا شريك له ، جعل بعد ذلك أحكاماً عامة وأخرى خاصة ، وكلف كل عبد بتكليف معين حسب ما أعطاه أياه من نعم ، فعبادة الغني آداء الشكر ، وذلك بإعطاء الفقير فقال تعالى (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ)([2]) وعبادة العلماء قولة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحكام في الحكم بما أنزل الله وتحقيق العدل ، وعبادة الفقراء الصبر على الواقع وعدم الانكسار ، وعبادة طلاب العلم النبوغ في اختصاصاتهم بتحقيق فرض الكفاية لمجتمعاتهم ولكن هل أدى كل هؤلاء دورهم الذي وكلوا به ؟

لقد فقد مسلم اليوم - إلا من رحم الله - الرؤية الإسلامية الشاملة على مستوى التصور والتطبيق ، وأصبح يعيش حياة التبعيض التي تورث الخزى كما قال تعالى : (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)([3]) وافتقدوا الاحساس بالأخوة الإسلامية والتكاتف والاحساس بأن المسلمين جسدٌ واحدٌ ، وغاب مفهوم الرحمة والإحسان كل هذا أدى إلى ضعف وتفكك الأمة الإسلامية والعربية([4]) .

وأيضاً من سنة الله في هلاك المهلكين التمكين للمستضعفين حتى يعلم المتجبرين أن الله لا يدع المتجبر المتكبر مهما بلغ به الحد والفسوق يأتي يوماً

([1]) الأزمة الفكرية المعاصرة ، د. طه جابر علواني ، ص١٩-٢٠ ، بدون ط ، ولا ت .

([2]) سورة المعارج ، الآية ٢٤

([3]) سورة البقرة ، الآية ٨٥

([4]) كتاب الأمة - الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ، د. نبيل صبحي الطويل ، ص٨-١١

يرفع فيه الضعيف ويذل المتكبر كما جاء في قوله عز وجل : (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)([1]) .

([1]) سورة القصص ، الآيات ٥-٦

المبحث الثالث

سـنة الله تفكك بلاد العرب

المطلب الأول :الإسلام والعرب

المطلب الثاني:أمثلة للدول العربية المعاصرة

المطلب الثاني

أمثلة للدول العربية المعاصرة

ها هو المسجد الأقصى يقف شاهداً منادياً متحسراً لما وصل إليه العرب والمسلمون من تفكك وانحلال وكأن الأمر لا يعنيهم ، ويحاول البعض الوصول إلى حل سلمي مع اليهود وهم يعلمون استحالة ذلك لأن الله عز وجل بين ذلك في محكم التنزيل بقوله تعالى : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)([1]) والبعض يدافع دفاع المستميت حتى يفجّر نفسه دفاعاً عن هذه القضية ، ولكن أين العرب والمسلمون من هذا كله ؟

إن الدراسات عن سياسة أمريكا نحو فلسطين على قلتها تعكس بوضوح المراحل البارزة التي اتسم بها نشوء القضية الفلسطينية منذ ظهورها ، فعندما أمل الفلسطينيون بعد تفكك الدولة العثمانية في أن ينالوا استغلالهم ، إلا أن الدول الأوربية كانت لديها مخططات لاستعمار المناطق التي كان سيمارس فيها الاستقلال ، فقد رعت الولايات المتحدة منذ البداية وعد بلفور وقبلت بفرض الانتداب البريطاني على فلسطين ، وهذا هو أول انتهاك مقحم لتقرير مصير فلسطين ، وقدمت الدعم المعنوي والمعلوماتي للصهيونية ومطالبها في غير اكتراث بمصير عرب فلسطين([2]) .

قال تعالى : (لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ)([3]) إنه القرآن الخاتم للكتب السماوية الصالح لكل زمان ومكان ومنزّله عالم بما كان وما سيكون ، حيث أنزل هذا الكلام من قبل أربعة عشر قرناً من الزمان وها هو الآن يعيشه العالم اليوم ، حيث يقام الآن في فلسطين هذا الجدار الفاصل حتى يحمي به اليهود المستوطنين في الأراضي العربية ، وسيكون بطول ٣٥٠ كلم ويحتاج الإسرائيليين للاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضي الفلسطينية لتقوم

([1]) سورة البقرة ، الآية ١٢٠

([2]) فلسطين والسياسة الأمريكية ، ميخائيل سليمان ، ص٣٢٧-٢٣٨ ، بدون ط .

([3]) سورة الحشر ، الآية ١٤

ببنائه ، ويقول الجنرال أيفي ايتام زعيم الحزب الديني الوطني : (إن من يريد إثبات انتصار الحركة الوطنية الفلسطينية على الحكومة الإسرائيلية فإن عليه أن ينظر إلى هذا الجدار الذي يعكف الجيش على إقامته حولنا ، أي انجاز يريده الفلسطينيون أكثر مما حققوه فعلاً بإجبارنا على الانغلاق خلف الجدران الاسمنتية والأسلاك الشائكة) فهذا قوله تعالى (تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى)([1]) إن أخطر ما في هذه الخطة هي المنطقة العازلة وغلاف القدس والتي ستؤدي إلى قضم ٢٠% من مساحة الأراضي الفلسطينية لتضم إلى إسرائيل واعتبار أكثر من ربع مليون من السكان الفلسطينين غرباء ويمنعون من التنقل بين قراهم ومدنهم ، ولا يسمح لهم بالحركة إلا بعد الحصول على تصريح مسبق ، ولم تكتف الخطط الإسرائيلية بالجدار الفاصل بل تشير إلى تقسيم الضفة الغربية إلى ثلاثة أقسام . مخططات رهيبة تستهدف فلسطين أرضاً وشعباً تقوم على أساس سياسة المصادرة للأراضي التي بدأتها إسرائيل منذ نشأتها حتى قبل ذلك ، وأكدت سلطة المياه الفلسطينية على أن إسرائيل تعمل على أحكام السيطرة على الموارد المائية الفلسطينية من خلال إقامة الجدار ، والمرحلة الأولى منه تؤدي إلى حرمان الفلسطينيين من حوالي ٢٢,٨% من معدل الاستخراج السنوي لديهم من الحوض المائي الغربي([2]) .

كل هذا يجري في الأراضي المقدسة وثالث الحرمين الشريفين وقبلة الإسلام الأولى ولا يعير المسلمين اهتماماً ولا يحرك فيهم ساكناً ، مما أدى إلى تدهور الأوضاع فيها واعتمادهم على أنفسهم من بعد الله والدفاع بأبسط الأسلحة (الحجارة) في وجه عدو يملك أحدث الأسلحة والإمكانات المادية ، فحتى متى أيها المسلمون والقدس تنادي ، وآ إسلاماه !

وهذه هي العراق يقع عليها الظلم الأمريكي وتتهم بأن بها أسلحة الدمار الشامل من غير دليل غير الظن والذي لا يغني عن الحق شيئاً ولكنه الطغيان والتجبر وحكم القوي على الضعيف ولكنه أيضاً بسبب الضعف الداخلي والانهزام النفسي الذي يعيشه العراق ، وأن الغريب في الأمر إن وزير الخارجية البريطاني

([1]) سورة الحشر ، الآية ١٤

([2]) مفكرة الإسلام Islamic memory (الإنترنت)

هو الذي أكد لصدام بضرورة تسلمه مهام قيادة السلطة في العـــراق ووضـــع لـــه الخطوط العريضة لأساليب مواجهة الحركة الإسلامية لاستئصالها من جذورهـــا وضربها بقوة من خلال عدة أساليب منها تدمير المؤسسات الاقتصادية والعمرانيـــة للعراق وإدامة الصراع حتى ولو أدى ذلك إلى تقسيم البلاد . ومنذ توليـــة صـــدام للحكم اعتبر هذا إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في مسار العراق وفي المنطقة العربيـــة والشرق الأوسط والعالم الثالث ، واتسمت بمحنة رهيبة عاشها الشـــعب العراقـــي وسنوات دموية نالت من الحركة الإسلامية وعلماء الإسلام الشيئ الكثير ، وحـــاول صدام التظاهر ببعض الممارسات الإيجابية لتركيز موقعه ولفت أنظـــار الشـــعب للتغيير الجديد ، تمشياً مع القواعد التي وضعت له بـــأن يكـــون حيوانيـــاً وحشـــياً وماكراً متجرداً عن كل الفضائل الأخلاقية ، ويتظاهر مقابل ذلك بالالتزام الخلقـــي والتدين والرحمة([1]) .

ومن هنا يتحقق قوله تعالى (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَـــقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً)([2]) .

والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال والخدم والراحة فينعمون بذلك حتى تترهل نفوسهم وتأسن ، وتستهزئ بالقيم والمقدســـات ، وتلغ في الأعراض والحرمات ، ، فإذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا فـــي الأرض فساداً ، ونشروا الفاحشة في الأمة وأرخصوا القيم العليا التـــي يعيـــش الشعوب إلا بها ولها ، ومن ثم تتحل الأمة وتسترخي وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها فتهلك وتطوى صفحتها ، والله لا يـــأمر بالفســـق لأن الله لا يـــأمر بالفحشاء ولكن وجود المترفين في ذاته دليل على أن الأمة قد تحلل بناؤها وسارت في طريق الإنحلال وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقا([3]) . وهذا مـــا حـــدث فـــي العراق بعد أن اختارت دول الغرب صدام لإنهاء الحركة الإسلامية ، انقلبت عليـــه عندما عاس الفساد في الأرض فسلطهم الله على هذه القرية فخربوها .

([1]) سنوات الحجر مسيرة الحركة الإسلامية في العراق ، علي المؤمن ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص١٧٩

([2]) سورة الإسراء ، الآية ١٦

([3]) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج١٣ ، ط٧ ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، ص٣١١ -٣١٢

المبحث الثالث

سنة الله في هلاك المهلكين

المطلب الأول : الاعتبار

المطلب الثاني : بيان قدرة الله عز وجل

المطلب الثالث : الإبتلاء رحمة للمؤمنين

المطلب الرابع:أمثلة من الذين أهلكوا بسنة الله

المطلب الأول

الاعتبار

إن من سنة الله في كونه وخلقه أن يرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، ويجرى على أيديهم المعجزات لتكون آية لهم من عند الله حتى يصدقهم قومهم ويتبعوهم لأنه يعلم حال البشر وهو خالقهم لا يؤمنون إلا بما هو مشاهد أمام أعينهم ، وينزل عليهم كتب كما يتبعوا نهجاً ويسيروا على أحكامها حتى يكونوا على صراط مستقيم ، ولكنهم إذا خالفوا رسلهم وكذبوهم أنذرهم الرسول بأن عذاب الله سوف يغشاهم جراء كفرهم وعنادهم ، فإن لم يرجعهم هذا ، أرسل الله عليهم عذاب من عنده فيهلكهم حتى يكونون عظة وعبرة لمن يتبع هذا السبيل ، كما قال تعالى :(فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ)([1]) . أي كم قرية أهلكناها وكم بئر عطلناها من سقائها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه، ثم لفت أنظارهم إلى ضرورة العبرة بما حدث فقال : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا)([2]) .

في هذا حث على السفر والاتعاظ بالمثال بالبصيرة ، أي فلا يسافر هؤلاء في البلاد فيتأملوا بما حدث من مصارع القوم ، ويشاهدوا آثارهم ، ويطلعوا على الأسباب فيعتبروا بما شاهدوا ورأوا ، و يقلعوا عما هم فيه من شرك ، وتكذيب لرسوله ، وينيبوا إلى ربهم الذي خلقهم وأقام لهم الأدلة والبراهين في الكون على وجوده ووحدانيته([3]) . (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)([4]) .

([1]) سورة الحج ، الآية ٤٥

([2]) سورة الحج ، الآية ٤٦

([3]) التفسير المنير ، الأستاذ وهبه الزحيلي ، ج١٧-١٨ ، ط١ ، ت ١٤١١هـ - ١٩٩١ ، ص٢٣٨

([4]) سورة الحج ، الآية ٤٦

المطلب الثاني

بيان قدرة الله عز وجل

ومن سنة الله في هلاك المهلكين لبيان قدرته عز وجل على عباده حتى لا يتكبروا ويتجبروا ويظنوا أن الله لا يقدر عليهم بسبب ضعف إيمانهم ، وحتى يعلموا أن الله مطلع عليهم يعلم كل صغيرة وكبيرة عنهم حتى وهي في قلوبهم ولم يترجموها واقعاً أمام الناس ، كما يقول عز وجل (وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)(١) وكذلك عند ما أنذر رسول الله أصحاب (الأيكة) بقوله (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ(٢) وقال تعالى : (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ)(٣) (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(٤) أي عندما خوف قومه وذكّرهم بتقوى الله الذي خلقهم ومن كان قبلهم على طبعهم هذا مذكراً إياهم بأس من طغوا قبلكم أخذهم الله بقدرته ، فلم يتعظوا بل قالوا إنك مسحر وبشر فكيف نطيعك فهنا تدخل قدرة الله عز وجل عظة لهم ولمن خلفهم وانتقاماً وتأييداً لرسولهم الذي كذب وأتهم في نفسه بالكذب والسحر ، وجاء ذلك بعد ما أرجع الرسول العلم إلى الله لعجزه هو عن ذلك الذي طلب منه . فنزل بهم عذاب يوم الظلة ، وذلك على ما أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس : إن الله تعالى بعث عليهم حراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخوا أجواف البيوت فدخل عليهم فخرجوا منها هرباً إلى البرية فبعث الله تعالى عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها برداً ولذة فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها اسقطها الله عز وجل فأمكنهم جميعاً(٥) . وبين الله عز وجل أن هذا آية لمن لم يؤمن (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)(٦) وقال تعالى : في بيان قدرته على هلاك

---

(١) سورة النمل ، الآية ٥٠

(٢) سورة الشعراء ، الآية ١٨٤

(٣) سورة الشعراء ، الآية ١٥٣

(٤) سورة الشعراء ، الآية ١٨٩

(٥) روح المعاني ، للآلوسي البغدادي ، ج١٩-٢٠ ، ص١١٩

(٦) سورة الشعراء ، الآية ٩

الكافرين والمكذبين (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)([1]) .

([1]) سورة الروم ، الآية ٩

المطلب الثالث

الإبتلاء رحمة للمؤمنين

ومن سنة الله في ابتلائه للمسلمين رحمته تعالى بهم حيث يبتلي الله الأنبياء فالأولياء فالأولى حتى يصغلهم ويمتحنهم بقدر إيمانهم ، وما حدث في البلاد الإسلامية في كل من فلسطين والشيشان وأفغانستان والبوسنة وغيرها ما هو إلا رحمة الله بهم ، وهو من أعظم ما يحقق المصالح الدائمة لأولياء الله وأحبائه في الدنيا والآخرة ، من أهمها التوبة والإنابة والرجوع إلى الله عز وجل كما قال تعالى : (وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(١) فالقهر والتسلط من الأعداء ابتلاء بالسيئات لعلهم يراجعون أنفسهم ، ويتعلقون بجانب ربهم ، ومنها استخراج الدعاء فلولاء الابتلاء لما سمعت الخطباء في الجمع يجأرون إلى الله تعالى بالدعاء وحتى في اللقاءات في القنوات الفضائية يختم ضيوفها البرنامج بالدعاء كما قال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)(٢) وفي هذا مصلحة عظيمة لأهل البلاد خاصة والأمة عامة لأنه من أعظم العبادات التي يحبها الله وقال سفيان بن عيينة رحمة الله عليه : (ما يكره العبد خيراً له مما يحب لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء وما يحبه يلهيه)(٣) .

ومن رحمته أيضاً كشف المنافقين وفضحهم ، فإن الأمور إذا استقامت للمسلمين واستقر لهم الأمن ولم يكن ثمة مخاطر تحيق بهم ، ولم يدخل فيهم من ليس منهم من المنافقين وعباد الدنيا والمصالح الذاتية ، وهذه الأحداث المعاصرة أظهرت للمسلمين من كانوا في داخل الصف وقلوبهم مع الأعداء ، وقد قال الله تعالى عقب غزوة أحد : (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ)(٤)(٥) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٦٨

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٤٢

(٣) الفرج بعد الشدة ، لابن أبي الدنيا ، ص٢٢ ، بدون ط .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٧٩

(٥) مجلة البيان العدد ١٩٥ ، موقف المسلم عند الفتن

المطلب الرابع

أمثلة من الذين أهلكوا بسنة الله

قال تعالى : (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ)(١) . بين الله عز وجل أن قارون أوتي مالاً وعصبة واغتر بها ولم تعصمه من عذاب الله ولم تنفعه قرابته من موسى ولا كنوزه قال النخعي وقتادة وغيرهما : (كان ابن عم موسى لحا ، وهو قارون) فبغى بأن زاد ثوبه شبراً واستخف أيضاً بقومه لكثرة ماله ، فذكره المؤمنون من بني إسرائيل بأن لا تأسر ولا تبطر لأن الله لا يحب ذلك ، ولكن ماذا كان رده ؟ (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) قال ابن عباس : (على علم عندي بعينه الذهب ، وهناك أقوال أخر كثيرة في سياق العلم الذي عنده ، وكلها تدل على عدم شكره لنعمة الله ونسبتها إلى نفسه تكبراً وبطراً بنعمة الله . (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ)(٢) أي فيما رآه زينة من متاع الحياة الدنيا ، فعندها تمنى الذين يريدون الحياة الدنيا لو يؤتوا مثله ، ولكنها سنة الله فليت كل شيء (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ)(٣) هذا حتى يتعلم الناس الشكر على نعم الله ولا يتكبروا بها ويسعون بها فساداً في الأرض(٤) .

---

(١) سورة القصص ، الآيات ٧٦-٧٨

(٢) سورة القصص ، الآيات ٧٩

(٣) سورة القصص ، الآيات ٨١

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج٧ ، ص٣٠٩-٣١٧

وكذلك قال تعالى : (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ .. فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ)([1]) .

حدثنا موسى قال : ثنا عمرو ، قال ثنا أسباط عن السدي قال : (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) ارتقى فوقه فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء ، فردت إليه وهي متلطخة دماً فقال قتلت إله موسى ، تعالى الله عما يقولون ، فماذا كان عاقبة استكباره هذا ؟ نبذوا في اليم (البحر) وكذلك أصبحوا يأتم بهم كل أهل العتو على الله والكفر به يدعون الناس إلى أعمال النار ، وكذلك يوم القيامة لا ينصرهم ناصر إذا عذبهم الله ، وقد كانوا في الدنيا ينتصرون بهم فاضمحلت تلك النصرة يومئذ([2]) .

إنها سنة الله التي لا تبدل ولا تتحول عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم كما قال تعالى : (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُوراً اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)([3]) .

([1]) سورة القصص ، الآيات من (٣٨-٤٢)

([2]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، ج١١ ، ص٧٨ -٧٩

([3]) سورة فاطر ، الآيات ٤٢-٤٣

الخـــاتمة

الحمد لله والصلاة السلام على رسول الله

لقد تناولت في دراستي هذه موضوع القرى في القرآن الكريم مبينة أحـــوال بعض القرى التي سبق وأن أرسل الله إليها الرسل داعين إلى توحيد الله بالعبـــادة أمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ، فمنهم من هلك ومنهم من نجأ بعد امتحانات وابتلاءات . وبتناولي لهذا الموضوع أردت أن أقارن بين أحوال كل تلك القـــرى من حيث اتباعها لرسلها وإعراضها عنهم ، وما عليه الأمـــة الآن . فوجـدت أن سبب الإعراض في أكثرها كان مادياً بحتاً تمسكاً بعرض الحياة الدنيا ، وافتخـــاراً بالأحساب والأنساب ، من عهد سيدنا نوح عليه السلام مروراً بسيدنا إبراهيم عليـه السلام ختاماً بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم حيث قال له كفار قريش (لَـــوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)([1]) لأن الإنسان خلق بطبعه مجبـولاً على حب المادة والعظمة عنده مال وولد وجاه وسلطان ولهذا كان رد كـــل الأمـــم السابقة على أنبيائهم الإنكار عليهم والجحود لدعوتهم متعللين بنفـــس الأســباب ، وإنهم وجدوا آباءهم على هذا الحال وهم على آثارهم مقتدون .

وهذا ما تعيشه الأمة اليوم حيث نجد أن الدول العظمى تسيطر علـــى كـــل شيء بقوتها المادية ، ولا تريد لأمة الإسلام أن تتقدم لأنـــها تنظـــر إليـــها بعيـــن الاستخفاف وأنها أمة متخلفة طالما تريد التمسك بعقيدتـــها وعاداتـــها الســـمحاء ، وكذلك لأنها تعلم لو سمح لها بالتقدم سوف تفوقها علماً وحضارة لأنها له من قبـــل . ولكن المؤسف حقاً أن أمة الإسلام استكانت لهم واسلمت لهم ذمام الأمر منقـــادة خلفهم حيث أرادوا تاركة بذلك هديها الرباني مبتعدة عن شرعها الحنيف الذي فيـــه عزها وتقدمها حيث يقول عز وجل (أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعـــاً)([2]) وأدى انخراطهم خلفهم إلى ضعفهم وتفككهم أمام قوى التكبر ، وهذا ما ترمي إليـــه أساساً ، ونجد هذا واضحاً بيناً في سقوط الكثير من الدول الإسلامية أمامهم

([1]) سورة الزخرف ، الآية ٣١

([2]) سورة النساء ، الآية ١٣٩

فارضين عليها أحكامهم الملحدة ، فأين الأندلس اليوم وحضارتها التي كانت منارة يهتدي بها وعلماً يشار إليه من بعيد ، لقد ضيعها المسلمون وأصبحوا يتباكون عليها.

وكذلك يظهر ضعف الأمة المسلمة اليوم في تخليها عن الأخذ بأسباب القوة التي يأمرها المولى عز وجل بها في قوله تعالى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)(٢) متعللين بأنه لا يجوز للدول النامية امتلاك الأسلحة النووية حتى لا ترهب بها الدول العظمى فها هي الشقيقة ليبيا تتخلى عن مشروعها في صنع الاسلحة وتخضع لأوامر الأمم المتحدة ، أليس هذا هو الاستسلام بعينه والولاء لأعداء الله ؟ ومن المؤسف أيضاً أن دول الكفر هذه توحدت فيما بينها والآن تسعى لتدخل الكثير من الدول الأخرى للإنضمام إلى اتحادها هذا ، كل هذا الاتحاد للقضاء على الإسلام لأنها تعلم قوته إذا اتحد المسلمين ، وهاهم المسلمين يدعوهم رب القوة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً للاتحاد ولكن لا حياة لمن ينادي والكل يخش ويخاف على منصبه ، حتى تمزقت أعظم الدول المسلمة وهاهو المسجد الأقصى ينادي منذ عشرات السنين فهل من مجيب ؟

---

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٦٠

التوصيات :

أولاً : أوصي بأن يقوم الشباب المسلم بنهضة إسلامية تدعوا إلى التوحد والقوة حتى يستطيعوا مواجهة القوة الظالمة على الطرف الآخر .

ثانياً : أن ترجع البلاد المسلمة إلى تطبيق كتاب الله وتنقاد إلى أوامره وتوجهه لأن في ذلك عزتها وقوتها ، حتى لا تكون ظالمة لنفسها .

ثالثاً : أن يكون للدول المسلمة اتحاد يسمى اتحاد الدول المسلمة حتى تستطيع من خلاله دعم كل البلاد الضعيفة حتى تكون أمة واحدة كما يريد لنا ربنا بقوله : (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) حتى لا ينزل علينا العذاب من عند الله بسبب مخالفة شرعه كما حل بهذه القرى التي ذكرت في القرآن .

رابعاً : أوصي أمة الإسلام بالصحوة من هذا النوم العميق وهذا الضياع البليغ والعودة إلى ماضي الأجداد ونبذ التحزب والتفرق لأن التحزب سم كما قال الشاعر:

إن التحزب سم فاجعلوا لهذا السم ترياقا

والدعوة إلى الوحدة حتى نتفرغ لنشر الدعوة الإسلامية التي هي أمانة في أعناقنا إلى يوم القيامة والله ولي ذلك والقادر عليه .

فهرس الآيات الكريمة

الرقم	اسم السورة	الآية	رقمها	الصفحة
١	البقرة	(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ)	١٣	٨٩
٢		(اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)	١٢	١٠٥
٣		(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ)	٤٤	٤٩
٤		(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ)	٥٨	١٠
٥		(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً)	٦٧	١٠٣
٦		(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ)	٦٨	١٠٣
٧		(وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا)	٧٤	
٨		(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا)	٨٧	١٠٢
٩		(ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُم)	٨٥	١٢٠
١٠		(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)	١٢٠	
١١		(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً)	١٢٨	٢٢
١٢		(وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ)	١٣٠	١٠٠
١٣		(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ)	١٣٤	١٢٣
١٤		(قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ)	١٤٤	٢٢
١٥		(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِم)	١٤٢	٢٣
١٦		(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)	٤٠	٩٩
١٧		(وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ)	٤١	٩٩
١٨		(وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)	٤٢	٩٩
١٩		(وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)	٤٣	٩٠
٢٠		(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)	٢١٣	٢٢
٢١		(أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)	٢٤٦	٩٩
٢٢		(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً)	١٤٣	٢٢
٢٣	آل عمران	(كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِم)	٨٦	

٢٤		(أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ)	٨٧	١٠٥
٢٥		(خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ)	٨٨	١٠٥
٢٦		(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ)	٩٣	١٠٥
٢٧		(فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)	٩٤	١٠٥
٢٨		(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ)	٩٦	
٢٩		(إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ)	١٤٠	٢٨
٣٠		(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ)	١٥٩	٧٣
٣١		(مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)	١٧٩	١٣٠
٣٢		(أُمَّةٌ قَائِمَةٌ)	١١٣	٢٢
٣٣	النساء	(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً)	٤١	٢٥
٣٤		(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ)	٤٤	١٠٢
٣٥		(وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً)	٤٥	١٠٢
٣٦		(وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ)	٧٥	١٢
٣٧	المائدة	(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ)	٢١	١١
٣٨		(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)	٤٨	٢٢
٣٩		(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ)	٥١	٢٩
٤٠		(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم)	٦٦	٢٢
٤١		(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)	٦٧	٨٠
٤٢		(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ)	٧٨	١٠٤
٤٣		(كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)	٧٩	١٠٤

٤٤		(قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ)	١٠٠	٤٩
٤٥	الأنعام	(وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ)	٤	١٢-١٣
٤٦		(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ)	١٩	٢٣
٤٧		(بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا)	٢٨	
٤٨		(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ)	٤٢	١٣٠
٤٩		(إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)	٧٤	٣٠
٥٠		(أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ)	١١٤	١٠١
٥١		(ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ)	١٣١	١٣-١٦
٥٢		(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا)	١٢٣	١٢٣
٥٣	الأعراف	(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ)	٦٥	٨٧
٥٤		(قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ)	٦٦	٢٨
٥٥		(قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا)	٧٠	٩٠
٥٦		(قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ)	٧١	٩٠
٥٧		(فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ)	٧٧	٩٧
٥٨		(فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي)	٧٩	٩٧
٥٩		(وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ)	٨٢	٥٣
٦٠		(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ)	٩٦	

٦١		(وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ)	١٢٧	٢٢-٣١
٦٢		(وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ)	١٣٠	١٠٦
٦٣		(وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ)	١٦٣	١٤
٦٤		(وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً)	١٦٨	١٣٠
٦٥	التوبة	(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ)	٣٦	١١٩
٦٦	يونس	(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا)	١٣	٢٩
٦٧		(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا)	١٩	٢٢
٦٨		(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً)	٨٧	٣٠
٦٩		(قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)	٤٩	٧٩
٧٠		(فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِك)	٩٤	١٠١
٧١		(فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ)	٩٨	٣١
٧٢	هود	(وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ)	٨	٢٣
٧٣		(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ)	٤٠	٤١
٧٤		(وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ)	٤٢	
٧٥		(قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ)	٤٣	٤٢
٧٦		(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ)	٤٤	
٧٧		(وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ)	٥٢	٩٢
٧٨		(قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا)	٥٣	٩٠
٧٩		(إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ)	٥٤	
٨٠		(إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم)	٥٦	٩٣

٨١		(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)	٥٨	
٨٢		(قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا)	٦٢	٩٦
٨٣		(قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي)	٦٣	٩٦
٨٤		(قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا)	٣٢	٣٨
٨٥		(يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ)	٧٦	١١١
٨٦		(قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ)	٧٩	١١١
٨٧		(قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ)	٨١	١١٠
٨٨		(فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا)	٨٢	٤٧
٨٩		(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً)	٨٥	٣٠
٩٠		(قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ)	٩١	٥٠
٩١		(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)	٩٤	٥١
٩٢		(وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ)	٨٩	٢٩
٩٣		(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ)	١٠٢	١٤
٩٤	يوسف	(أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)	١٢	
٩٥		(وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)	٤٥	٢٣
٩٦		(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)	٨٢	١٥
٩٧	الرعد	(كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ)	٣٠	٨١
٩٨	إبراهيم	(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)	٤	٣٠
٩٩		(لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)	١	١
١٠٠	الحجر	(مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ)	٥	
١٠١		(قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ)	٦٣	٢٥
١٠٢		(وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ)	٦٦	
١٠٣		(فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ)	٧٣	
١٠٤		(وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ)	٧٨	

١٠٥	النحل	(ولَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)	٣٦	أ
١٠٦		(ولا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا)	٩٢	٢٤
١٠٧		(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً ولَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)	١٢٠	٢٣
١٠٨	الإسراء	(وقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ)	٤	١٠٣
١٠٩		(ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وبَنِينَ)	٦	١٠٣
١١٠		(وإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا)	١٦	١٢٥
١١١		(ولَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ)	٨٩	٢٥
١١٢		(أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً)	٩٢	٧٨
١١٣	الكهف	(وتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً)	٥٩	١٥
١١٤		(فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ)	٧٧	١٥
١١٥	مريم	(واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً)	١٦	
١١٦		(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً)	٩٧	٨٣
١١٧	طه	(قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ)	٨٥	٣٠
١١٨	الأنبياء	(وجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا)	٧٣	٢٦
١١٩		(ولُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وعِلْماً ونَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ)	٧٤	١٥
١٢٠		(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)	٩٢	٢٣
١٢١		(وحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ)	٩٥	١٦
١٢٢	الحج	(فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا)	٤٥	١٢٧

١٢٣		(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)	٤٦	١٢٧
١٢٤	المؤمنون	(وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا)	٣٣	
١٢٥		(هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ)	٣٦	٩٣
١٢٦	الفرقان	(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً)	١	٨٢
١٢٧		(وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ)	٤٠	١٧
١٢٨	الشعراء	(وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)	٩	١٧
١٢٩		(وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ)	١٣	
١٣٠		(كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ)	١٠٥	٢٨
١٣١		(ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ)	١٢٠	٨٨
١٣٢		(وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ)	١٣٠	٨٨
١٣٣		(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ)	١٢٨	٨٨
١٣٤		(وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)	١٢٩	٨٨
١٣٥		(كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ)	١٤١	٨٩
١٣٦		(قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ)	١٥٣	١٧٨
١٣٧		(مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)	١٥٤	٤٨
١٣٨		(وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ)	١٦٦	١٠٩
١٣٩		(قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ)	١٦٧	١٠٩
١٤٠		(رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ)	١٦٩	١٠٩
١٤١		(كَذَّبَ أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ)	١٧٦	
١٤٢		(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)	١٧٨	٥٣
١٤٣		(وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ)	١٨٤	٤٨
١٤٤	النمل	(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ)	٢٢	٧٣
١٤٥		(وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ)	٢٤	٢
١٤٦		(قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ)	٢٩	١٨

١٤٧		(قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ)	٣٩	٣
١٤٨		(وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)	٥٠	٦٩
١٤٩		(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً)	١٤	
١٥٠	القصص	(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا)	٥	١٢١
١٥١		(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ)	١٢	١٧
١٥٢		(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ)	٢٣	٢٤
١٥٣		(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَـــهٍ غَيْرِي)	٣٨	١٣٦
١٥٤		(وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِـنَ الْمَقْبُوحِينَ)	٤٢	١٣٦
١٥٥		(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا)	٥٨	١٦
١٥٦		(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّـــهَا رَسُولاً)	٥٩	٢٤
١٥٧		(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى)	٧٦	١٣١
١٥٨		(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ)	٨١	١٣٠
١٥٩	العنكبوت	(وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُـــمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)	٢٥	٣٠
١٦٠		(فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُـــوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)	٢٦	١٠٨
١٦١		(إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَـــدٍ مِـنَ الْعَالَمِينَ)	٢٨	١٠٨
١٦٢		(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ)	٣١	١٥
١٦٣		(اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِـــمِ الصَّـــلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ)	٤٥	٤٧
١٦٤	لقمان	(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ)	١٣	١٣
١٦٥	الأحزاب	(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً)	٣٦	١٢٢

١٦٦	سبأ	(لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ)	٤	٦٥
١٦٧		(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)	٢٨	٨٢
١٦٨		(وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)	٣٤	١٦
١٦٩	الزمر	(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ)	١٣	١٥
١٧٠	يسن	(قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ)	١٩	٢٩
١٧١	الشورى	(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا)	٧	٧٩
١٧٢		(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ)	١٣	٨٨
١٧٣		(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ)	٣٨	٧٣
١٧٤	الزخرف	(بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ)	٢٢	١٢٣
١٧٥		(وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ)	٢٣	١٧
١٧٦		(وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)	٣١	١٢٢
١٧٧	الجاثية	(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ)	١٨	٢
١٧٨	الأحقاف	(قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى)	٣٠	٣٠
١٧٩	محمد	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)	٧	١١٩
١٨٠	القمر	(إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ)	٣٤	١١٣
١٨١		(وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ)	٣٧	١٢٣
١٨٢	الحشر	(لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ)	١٤	١٢٣
١٨٣	المعارج	(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ)	٢٤	١٢٠

١٨٤	نوح	(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ)	١	٣٤
١٨٥		(يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ)	٤	٣٤
١٨٦		(مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً)	١٣	٣٧
١٨٧		(قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي)	٢١	٣٦
١٨٨	الفجر	(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ)	٦	٨٧
١٨٩	العلق	(كَلَّا إِنَّ الْأِنْسَانَ لَيَطْغَى)	٦	٧٨
١٩٠	قريش	(لإِيلافِ قُرَيْشٍ)	١	

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : علوم القرآن :

١	قصص القرآن - محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البخاري ومحمد أبو الفضل - دار المكتبة العلمية / بيروت
٢	قصص الأنبياء - محمد أحمد جاد المولى
٣	قصص الأنبياء - لابن كثير - ج١ -ط٣ ت ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م - دار عمر بن الخطاب / الإسكندرية
٤	تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم - محمد الطيب النجار - ج٢ ط١ ت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م - مكتبة المعارف الرياض
٥	مع الأنبياء في القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح - ط ١٥ -ت ١٩٨٥م
٦	قصص الأنبياء إيحاءه ونفحاته - د . فضل حسن عباس - ط١ ت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
٧	مع الأنبياء في القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح طبارة - ط١٧ - ت ١٩٨٩م
٨	بنو إسرائيل في ميدان القرآن الكريم - صابر طعيمة - ط ١ -ت ١٩٧٥م
٩	اليهود في القرآن الكريم - محمد عز وزوزو
١٠	اليهود في القرآن الكريم - الشيخ صلاح أبو إسماعيل
١١	معالم الدعوة في قصص القرآن - عبد الوهاب بن لطفي - ط١ ت ١٤٠٧هـ
١٢	قصص الأنبياء - عبد المعز خطاب
١٣	الفرج بعد الشدة - لابن أبي الدنيا

ثالثاً : التفسير

١٤	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - أبي السعود محمد بن محمد - ج٩ بدون ط و ت / دار إحياء التراث العربي
١٥	التفسير العظيم - لابن كثير - ج ط جديدة ، بدون ت - دار مكتبة الهلال
١٦	الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للسيوطي - ج٣ و ج٤ و ج٦ / بيروت ط و ت - دار الفكر -بيروت
١٧	الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - ج٩ و ج١ و ج٧ / ط٢ ت ١٠١٦هـ ١٩٠٢م - مناهل العرفان -بيروت
١٨	الكشاف - عن حقائق التأويل وعيون التنزيل - للزمخشري - ج٣ و ج٢ - ت

	١٩٧٩م / دار الفكر -بيروت
١٩	الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية - سليمان بن عمر العجلي- ج٣ - دار احياء التراث العربي
٢٠	التفسير المنير - للأستاذ / وهبة الزحيلي - ج١٧ - ج١٣ - دار الفكر المعاصر / بيروت
٢١	المتشابه من القرآن - للهمازاني - الفسر الثاني - دار التراث- القاهرة
٢٢	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - للشنقيطي / ج ٦ - ج٣ - ط١١ ت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٣م
٢٣	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي - ج١١ -ط١ ت ١٣٩٨هـ -١٩٧٧م مؤسسة دار العلوم - قطر
٢٤	التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - ج٥ - دار سحنون - تونس
٢٥	الأساس في التفسير - سعيد حوى - ج٩ -ج٤ -ط١ -ت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م - دار السلام للنشر -القاهرة
٢٦	التفسير الوجيز لكتاب الله العزيز - أسامة عبد الكريم - ط٤ ت ١٤٢١هـ ٢٠٠١م
٢٧	تنوير المقياس من تفسير ابن عباس - لابن طاهر محمد بن يوسف الشافعي
٢٨	تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - ج٣ -ج٦ - دار الفيحاء - دمشق
٢٩	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - أبي السعود محمد بن محمد العماد - ج٧ - ج٩ بدون ط ولا ت - دار إحياء التراث العربي
٣٠	أوار التنزيل وأسرار التأويل - ناصر الدين البيضاوي - ج١ - دار الجيل
٣١	تفسير الجلالين - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي
٣٢	التفسير الكبير ومفاتح الغيب - للإمام محمد فخر الدين الرازي - ج١٤ - دار الفكر -بيروت
٣٣	معالم التنزيل - للإمام أبي محمد الحسن بن مسعود البغوي - ج٣ -ج٤ - دار طيبة الرياض
٣٤	فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن علي بن محمد الشوكاني - ج٤ - دار المعرفة -بيروت
٣٥	صفوة التفاسير - محمد علي الصابوني - ج٣ -ج٢-ج١ -ط ٦ بدون ت - دار القرآن الكريم -بيروت

٣٦	نزهة الأعين النواظر على الوجوه والنظائر - لابن الجوزي - ط٢
٣٧	جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطـــبري - ج٣ - ج١٣-ج١٢ -ج١١ -بدون ط وت / دار المعارف- مصر
٣٨	في ظلال القرآن - سيد قطب - ج٦ وج١ و ج١٣ - دار إحياء التراث العربي - دمشق
٣٩	زاد المسير في علم التفسير - لأبي الحزم الجوزي - ج٨ -ج٦ ط٣ - ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م -المكتب الإسلامي -بيروت
٤٠	حاشية الصاوي على تفسير الجلالين - للإمام أحمد الصاوي المالكي - ج٣ -ج٤ - دار الفكر -بيروت ت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
٤١	روح المعاني - للألوســـي - ج١٩- ج١٢ ج ١ - ج ٩ -ج٧ - ج٣ - ط٤ - ت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م - دار إحياء التراث العربي
٤٢	غرائب القرآن ورغائب الفرقان - لنظام الدين الحسن بن محمد النيســـابوري - ج١٢
٤٣	تفسير القرآن الحكيم - المنار - محمد رشيد رضا -ج١٢

رابعاً : الحديث

٤٤	الجامع الصحيح - سنن الترمذي - الشـــيخ / هـــاشم البخـــاري - ج٥ / دار الحديث - القاهرة
٤٥	سنن ابن ماجة - للحافظ أبي عبد اله القزويني - ج٤ - دار الحديث - القاهرة
٤٦	سنن أبي داود - الشيخ / محمود محمد حطاب - ج٤ - دار إحياء التراث العربي -بيروت
٤٧	صحيح مسلم - الإمام النووي - ج٩ -دار النشر / مؤسسة منـــاهل العرفـــان / بيروت
٤٨	صحيح البخاري - لابن الجوزي - ج٥ و ج ٣ / دار الجيل
٤٩	صحيح البخاري مع الشف المشكل - للجوزي - ج١٤
٥٠	صحيح الترمذي - لابن العربي - ج٩ و ج ١١ و ج ٧ - دار الكتاب العربي
٥١	موسوعة السنة الكتب الستة
٥٢	مرويات الإمام أحمد بن حنبل - أحمد محمد ----وآخرون - ج٤
٥٣	فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العســـقلاني - ج١٧ / ج ٦ / ج ١٢ -بيروت

خامساً : المعاجم :

٥٤	لسان العرب - لابن منظور - طبعة جديدة- -ج٥ / دار المعارف -بيروت
٥٥	الصحاح في اللغة والعلوم - الشيخ عبد الله العلائلـــي - ج١٠ / دار الحضـــارة العربية -بيروت
٥٦	مختار الصحاح - الشيخ محمد أبو بكر الرازي - دار الحديث / القاهرة
٥٧	المعجم الوسيط - إبراهيم أنيس واخرين - ج٢ ط٢ - دار الباز للنشر والتوزيع
٥٨	معجم متن اللغة - الشيخ أحمد رضا - ج١ ت ١٣٩٨هـ-١٩٥٩م -دار مكتبـــة الحياة -بيروت
٥٩	لسان العرب - لابن منظور -ج١٥
٦٠	معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية - عبد الحليم محمد قيس
٦١	معاني القرآن وإعرابه - للزجاج -ج١
٦٢	معجم كلمات القرآن - محمد عدنان سالم - إعادة الطبعة الأولى
٦٣	مفردات ألفاظ القرآن الكريم - للراغب الأصفهاني

سادساً : التاريخ :

٦٤	أخبار مكة -الأزرق
٦٥	أفغانستان - د. أحمد محمود الساذاني -طبعة نموذجية
٦٦	الإسلام اليوم-نت
٦٧	الأزمة الفكرية المعاصرة - د . طه جابر علواني
٦٨	كتاب الأمة - الحرمان والتخلف في ديار المسلمين - د . نبيل صبحي الطويل
٦٩	العرب والإسلام وأوربا - عادل إسماعيل
٧٠	قضايا العصر ومشكلات الفكر - أنور الجندي - ط١ -ت ١٤٠١هـ -١٩٨١م
٧١	فلسطين والسياسة الأمريكية - ميخائيل سلمان
٧٢	مفكرة الإسلام -نت
٧٣	سنوات الحجر - مسيرة الحركة الإسلامية في العراق - علي المؤمـــن - ط١ ت ١٩٩٣م
٧٤	مجلة البيان العدد ١٩٥ - موقف المسلم عند الفتن

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ب
المقدمة	١
الفصل الأول : مفهوم القرية في القرآن الكريم	**٦**
المبحث الأول : معنى القرية	٧
المطلب الأول : القرية لغة	٨
المطلب الثاني : القرية في الاصطلاح القرآني الكريم	١٠
المطلب الثالث : القرية في الحديث النبوي الشريف	١٩
المبحث الثاني : الفرق بين القرية والأمة والقوم	٢٠
المطلب الأول : الأمة	٢١
المطلب الثاني : القوم	٢٨
المطلب الثالث : الفرق بين القرية والأمة والقوم	٣٢
المبحث الثالث : نماذج للقرى الفاجرة	٣٣
المطلب الأول : قوم نوح	٣٤
المطلب الثاني : قرية شعيب	٤٥
الفصل الثاني : نماذج من القرى الناجية في القـــرآن الكريـــم وأسباب نجاتها	**٥٧**
المبحث الأول : قرية يونس عليه السلام وسبب نجاتها	٥٨
المطلب الأول : يونس عليه السلام	٥٩
المطلب الثاني : دعوة يونس لقومه	٦٢
المبحث الثاني : قرية سبأ وأسباب نجاتها	٦٥
المبحث الثالث : أم القرى	٧٣
المطلب الأول : مكة المكرمة	٧٤
المطلب الثاني : موقف أهل مكة من النبي صلى الله عليه وسلم	٧٧

الفصل الثالث : نماذج من القرى الهالكة وأسباب هلاكها	**٨٥**
المبحث الأول : قرى عاد وثمود وأسباب هلاكها	٨٦
المطلب الأول : عاد قوم هود	٨٧
المطلب الثاني : قوم ثمود	٩٥
المبحث الثاني : قرى بني إسرائيل واسباب هلاكها	٩٨
المطلب الأول : أخبارهم	٩٩
المطلب الثاني : جدل بني إسرائيل	١٠٣
المطلب الثالث : عقاب بنو إسرائيل	١٠٥
المبحث الثالث : قرية لوط وأسباب هلاكها	١٠٧
المطلب الأول : لوط عليه السلام في سدوم	١٠٨
المطلب الثاني : صراع قوم لوط	١١٠
المطلب الثالث : عاقبة قوم لوط	١١٣
الفصل الرابع : سنة الله في القرى الحاضرة	**١١٥**
المبحث الأول : سنة الله في تفكك بلاد أفغانستان على يد الأمريكان وأسباب ذلك	١١٦
المبحث الثاني : سنة الله في تفكك بلاد العرب	١١٧
المطلب الأول : الإسلام والعرب	١٢٢
المطلب الثاني : أمثلة للدول العربية المعاصرة	١٢٣
المبحث الثالث : سنة الله في هلاك المهلكين	١٢٦
المطلب الأول : الإعتبار	١٢٧
المطلب الثاني : بيان قدرة الله عز وجل	١٢٨
المطلب الثالث : الإبتلاء رحمة للمؤمنين	١٣٠
المطلب الرابع : أمثلة من الذين هلكوا بسنة الله	١٣١
الخاتمة	١٣٣
نتائج البحث	١٣٤

التوصيات	١٢٥
فهرس الآيات القرآنية	١٢٦
فهرس المصادر والمراجع	١٤٦
قائمة الملاحق	١٥٠